سورة الروم واستنباط آيات الله في الأنفس والآفاق دراسة موضوعية

أ. محمد حسن خوجة*، د. خالد نبوي سليمان**

سلم البحث في ١٤٤٠/٥/٣هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٠/٦/٩هـ

ملخص البحث:

في خضم الأحداث التي تموج بها المجتمعات الإسلامية، من التشتت والضياعٍ والتفرقٍ والتحزبٍ والتنازعٍ والتفككٍ الأسري والاجتماعي وقطعٍ الأرحام وطمسٍ العقول؛ بسبب كثرة الجهل، واضمحلال العلم، وكثرة الفتن، وتهافت المشككين من كل حدب وصوب؛ لينشروا البدع، ويسارعوا بالتفريق بين صفوف المسلمين، وبث الأوهام التي تبعد الإنسان عن خالقه، لإشغاله بالأسباب الدنيوية، تأتي آيات الكتاب الكريم لتنير الطريق في دياجير هذا الظلام، من خلال دراسة موضوعات تعرضت لها سورة الروم- تحل هذه المشكلات، وتبين للمسلمين سبيل الخروج منها، ودعوة أصحاب العقول لإعمال عقولهم، والتفكر في الأنفس والآفاق، وما فيها من آيات باهرات تدل على عظمة الخالق وقدرته؛ فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، وليعلم المشركون والملحدون أن الله -سبحانه وتعالى- ما خلق السماوات والأرض وما بينهما عبثًا، بل لحكمة أرادها من هذا الخلق، بينتها آيات هذه السورة.

Abstract:

In the midst of the events that ripple by the Islamic societies, from dispersion, loss, separation, partying, conflict, family and social disintegration, cutting off the womb, and obliterating the minds; because of the great ignorance, the decay of science, and the great strife, and the skeptics rushing from every corner to spread the heresies, The delusions that distance man from his Creator, for his preoccupation with earthly causes, come from the verses of the Holy Book to illuminate the way in the depiction of this darkness, through the study of the subjects that were exposed to Surah Al-Rum - solve these problems, and show the Muslims the way out of them, and call the minds to realize their minds, The polytheists and the atheists know that God - His Companions and Exalted - created the heavens and the earth and what is between them in vain, but for the wisdom he wanted from this creation, the verses of this Sura have been explained by it.

* باحث بمرحلة الماجستير بقسم علوم القرآن، جامعة المدينة العالمية.

* أستاذ مشارك بجامعة المدينة العالمية.

المقدمة:

الحمد لله الفتاح المنان ذي الفضل والطول والإحسان الذي من علينا بنعمة الإيمان والإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد خاتم الأنبياء الذي أيده الله بالقرآن، فكان هداية للأنام وعلى آله وصحبه ومن والاه.

خلفية البحث:

القرآن الكريم هو الهداية لهذه الأمة وطريق سعادتها وفلاحها في الدنيا والآخرة؛ لذا تهافت عليه العلماء والمفسرون تبيانًا وشرحًا وإيضاحًا للمعاني الجليلة الخفية لهذا الكتاب المجيد ليهتدي بهديه المهتدون.

أهمية البحث:

إن علم التفسير من أهم العلوم الشرعية وأعظمها وأشرفها؛ لشرف القرآن وعظمته ومكانته؛ لذا رأى الباحث أن يتشرف بتسليط الضوء على سورة من سوره، ألا وهي سورة الروم عسى أن يكون هذا البحث سبيلًا لتقريب الناس من كتاب ربهم وسببًا لفهم بعض آياته وتدبره وكشفًا للثام عن بعض خفاياه وإعجازه وعجائبه.

إشكالية البحث:

بالنظر إلى الواقع الأليم الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية من شتاتٍ وضياعٍ وتفرقٍ وتحزبٍ وتنازعٍ وتفككٍ أسري واجتماعي وقطعٍ للأرحام وذوي القربى وطمسٍ للعقول؛ فقد كثر الجهل، واضمحل العلم، وكثرت الفتن، وتهافت المشككون من كل حدب وصوب؛ فنشروا البدع، وسارعوا بالتفريق بين صفوف المسلمين، وبثوا الأوهام التي تبعد الإنسان عن خالقه وبارئه، وأشغلوه بالأسباب الدنيوية؛ لينسى مسبب الأسباب، فينشغل بالمخلوق عن الخالق، وبالدنيا عن الآخرة.

فجاء هذا البحث -من خلال دراسة الموضوعات التي تعرضت لها سورة الروم- ليحل هذه المشكلات، وليبين للمسلمين سبيل الخروج منها، ودعوةً لأصحاب العقول ليُعملوا عقولهم، وليتفكروا في الأنفس والآفاق، وما فيهما من آيات باهرات تدل على عظمة الخالق وقدرته؛ فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، وليعلم المشركون والملحدون أن الله -سبحانه وتعالى- ما خلق السماوات والأرض وما بينهما عبثًا، وينظروا إلى دقيق صنعه، فهم وإن ملكوا الدنيا فهي زائلة فانية لن تبقى لهم، وذلك هو الخسران المبين، ولإزالة الغموض وتوضيح معاني آيات الله وإعجازه في سورة الروم.

أسئلة البحث:

١. ما هي الفوائد المرجوة من تفسير القرآن الكريم؟

٢. ما هي خصائص سورة الروم التي تميزت بها عن غيرها من السور؟
٣. لماذا سميت هذه السورة بسورة الروم؟
٤. ما هي أوجه الإعجاز العلمي والكوني لهذه السورة؟
٥. ما هي المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته الفانية؟
٦. ما هي الأدلة على وجود الله وربوبيته سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشرك؟
٧. ما هي الآيات الدالة على قدرة الله -جل جلاله- التي وردت في هذه السورة الكريمة؟

أهداف البحث:

١.أهمية تفسير كتاب الله -عز وجل- في حياة المسلمين.
٢.إيضاح مكانة سورة الروم في القرآن الكريم والتعريف بها.
٣.بيان سبب تسمية هذه السورة بسورة الروم.
٤.استنباط آيات الله الباهرة وبيان الإعجاز العلمي في خلق الأنفس والأكوان.
٥.بيان أطوار حياة الإنسان وتنقله من مرحلة إلى أخرى.
٦.إثبات الوحدانية لله -سبحانه وتعالى- ونفي وبطلان الشريك له.
٧.بيان حقيقة الكفر وعاقبة الكافرين.

مصطلحات البحث:

١ . آيات الله:

لغة: جمع آية وهي: العَلامَةُ، وزنها فَعَلَةٌ في قول الخليل، وذهب غيره إلى أَن أَصلها أَيَّةٌ فَعْلَةٌ فقلبت الياء أَلفًا لانفتاح ما قبلها، وهذا قلب شاذ كما قلبوها في حارِيّ وطائِيٍّ إلا أَن ذلك قليل غير مقيس عليه، والجمع آياتٌ وآيٌ، وآياءٌ جمعُ الجمع نادرٌ؛ قال: لم يُبْقِ هذا الدَّهْر، من آيائِه، غيرَ أَثافِيهِ وأَرْمِدائِه وأَصل آية أَوَيَةٌ، بفتح الواو، وموضع العين واو، والنسبة إِليه أَوَوِيّ، وقيل: أَصلها فاعلة فذهبت منها اللام أَو العين تخفيفًا، ولو جاءت تامة لكانت آيِيَةً. (١)

"(الْآيَة) الْعَلامَة والإمارة وَالْعبْرَة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ [يونس: ٩٢] والمعجزة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [المؤمنون:٥٠]، والشخص وَالْجَمَاعَة وَمن الْقُرْآن جملَة أَو جمل أثر الْوَقْف فِي نهايتها غَالِبا وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ...﴾" [النحل: ١٠١]" (٢).

"وأصل آية أوية، بفتح الواو، وموضع العين واو، والنسبة إليه أووي، وقِيل:

أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفًا، ولو جاءت تامةً لكانت آيية"[٣].

قال الفراء في كتاب المصادر: الآية من الآيات والعبَر، سميت آية كما قال تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات﴾؛ [يوسف:٧]، أَي أُمور وعِبَرٌ مختلفة، وآيات الله: عجائبه".[٤]

بيان معنى الآية لغة واصطلاحا:

آية: الآية تأتي في اللغة على ثلاثة معان:

الأول: جماعة الحروف؛ قال أبو عمرو الشيباني تقول العرب: "خرج القوم بآيتهم" أي: بجماعتهم.

الثانِي: الآية بمعنى العجب؛ تقول العرب: زيد آية في العلم أو آية في الجمال.

الثالث: تأتي بمعنى العلامة؛ تقول العرب: تهدمت دار عمرو، وما بقي فيها آية، أي: علامة، فكأن كل آية في القرآن الكريم علامة تدل على نبوةِ سيدنا محمد ﷺ.[٥]

وأما في الاصطلاح: فمعنى (الآية) كما قال أهل اللغة: هو قرآن مركب من عدة جمل ولو تقديرًا له مبدأ ومقطع يندرج تحت مسمى سورة[٦]، وأصل كلمة آية العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨] فهي علامة للفضل أو علامة للجماعة لأنها جماعة كلمة. وقيل أيضًا: الآية هي طائفة ومجموعة من القرآن منقطعة عما قبلها ولا تتبع ما بعدها ليس بينها شبه بما سواها. وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، سمِيت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدى بها. وقيل: لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عما بعدها، قال الواحدي وبعض أصحابنا: يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن.

تعريف آيات إجرائيًّا: هي العجائب والدلالات الباهرة التي تدل على عظمة الخالق جل جلاله.

٢. الأنفس: جمع النفس وهي: **لغة:** "الروح، والنفس في كلام العرب على معنيين: الأول: الروح، تقول: خرجت نفس فلان، معناها روحه، وفي نفس فلان أَن يفعل كذا وكذا، معناها في روعه، والضرب الثاني: معنى النفس في الشيء أي جملته وحقيقته، تقول: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه، أي أوقع الهلاك بذاته كلها وحقيقته، والجمع كلمة (نفس) أنفس ونفوس"[٧]، وهناك بعض اللغويين العرب من سوى بين النفس والروح، وقال: هما شيء واحد، وجعل الفرق بينهما فقط: أن النفس مؤنثة والروح مذكر. وقال

غيره الروح هو: الذي يكون به الحياة، والنفس هي التي يكون بها العقل، فحينما ينام النائم يقبض اللَّه نفسه ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت. قال: وسميت النفس نفسًا لتولد النفس منها كما سموا الروح روحًا لأن الروح موجود به.

واصطلاحًا: النفس هي: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وتسمى الروح الحيوانية فهي جوهر مشرق للبدن؛ فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه"(٨). وأما عندما ينام الإنسان ينقطع عن ظاهر البدن فقط دون باطنه؛ فثبت أن النوم والموت من جنس واحد، لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو انقطاع جزئي ناقص.

النفس اصطلاحًا لها عدة معاني:

فقد تأتي بمعنى:

١- الروح، يقال: خرجت نفسه أي روحه، كما قال جل جلاله ﴿الله يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ **حين موتها**﴾ [الزمر: ٤٢].

٢- باطن الذات، قال تعالى:﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣].

٣- "النفس بمعنى نفس الحياة وهي حقيقة الحي؛ قال تعالى:﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾[الزمر:٥٦]، وقال تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: ٤٤](٩)."

إجرائيًّا: هي النفس البشرية المكونة من الجسد والروح المناط بها التكليف.

٣ . الآفاق:

لغة: "الأُفْق والأُفُق مثل عُسْر وعسُر: ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض، وكذلك آفاق السماء نواحيها، وكذلك أُفْق البيت من بيوت الأعراب نواحيه ما دون سَمْكه، وجمعه آفاق، وقيل: مهاب الرياح الأربعة: الجنوب والشمال والدبور والصبا(١٠)." وجذر الكلمة الهمزة والفاء والقاف، وهي أصل واحد، تدلّ على التباعُد ما بين أطراف الشيء واتساعِه، وعلى وصول النهاية. **والخلاصة** أن: آفاق: جمع أَفَق، والأَفَقُ من الطريق: وجهه.

ويأتي أيضًا الأفق بمعنى: النَّاحية. وقال أهل اللغة في تعريف الأُفُق: يقال خَطُّ الأفق: ملتقى الأرض بالسَّماء، ويقولون أيضًا: قام بجولة في الأفق: بمعنى جولة دائرية استطلاعية، ويقال أيضًا: محمد جوَّابُ آفاقه؛ أي كثير الأسفار. والأفق مدى الاطلاع، يقال في المعرفة والرأي: فلان واسع الأُفق أو ضيق الأفق والجمع: آفاق.

ويقال: كَشَفَ آفاقًا جَدِيدَةً: أي جَوَانِبَ، مَعَالِمَ، جِهاتٍ، أَماكِنَ. ويقال وَسَّعَ آفَاقَ مَعَارِفِهِ: أي مَدارِكَهُ، وإمْكاناتِهِ هُوَ وَاسِعُ الأفُقِ. وأما الأُفْقان أو الأُفُقان: فهما المشرق والمغرب. ويقال أيضًا: بلَغت شهرتُه الآفاق: ملأت شُهرته بقاعَ الأرض. "يقال: جوّاب آفاقٍ: كثير التنقُّل والتجوال، ويقال: ضرَب في الآفاق: تنقَّل بعيدًا، تجوَّل"(١١).

اصطلاحا: "الآفاق جمع أفق: قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣] أي في النواحي"(١٢). "والآفاق النواحي الواحد أفق بضمتين وأفق بفتحتين أي سنريهم آياتنا في النواحي عمومًا من مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها"(١٣).

إجرائيا: المقصود بالآفاق هو مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها ونواحيها عمومًا.

والمراد بالآفاق في هذا البحث: هو كل ما يحيط بالإنسان في هذا الكون العجيب سواء كان قريبًا أم بعيدًا مشاهدًا بالعين المجردة أم غير مشاهد.

المبحث الأول
الدراسات السابقة

١-**المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية لسور: القصص. العنكبوت. الروم).** إعداد الطالبة: ريم مرفق الشرافي، رسالة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن.

أوجه التشابه والاختلاف بين دراستي وهذه الدراسة:

أوجه التشابه:

شملت هذه الدراسة لسورة الروم على بعض الجوانب التي تعرضت لها في دراستي، وهي:

١- تسميتها وسبب نزولها وعدد آياتها.

٢- مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

٣- المحور الرئيس للسورة.

٤- موضوعات السورة ومقاصدها.

أوجه الاختلاف:

١- فقد تحدثت الدراسة السابقة عن علم المناسبات والفواصل.

أما علم المناسبات: فقد توافقت مع دراستي بجانب واحد، وهو مناسبة السورة

لما قبلها والدراسة السابقة تعرضت لأنواع المناسبات عامة؛ فهناك أنواع للمناسبة في السورة الواحدة:

١- المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة.

٢- المناسبة بين فواتح السور وخواتيمها.

أنواع المناسبة بين السور:

١- المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها.

٢- المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها.

ومن أوجه الاختلاف:

إن الدراسة السابقة بحثت في جوانب الإعجاز البياني في فواصل آيات سورة الروم، وركزت على المظاهر البلاغية فيها؛ بخلاف دراستي؛ فقد ركزت على الجانب الإعجازي في الأنفس والآفاق من خلال سورة الروم.

٢- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال (سورة القصص. العنكبوت. الروم. لقمان. السجدة. الأحزاب). إعداد الباحثة: وفاء مصباح حسونة، لنيل درجة الماجستير في قسم تفسير القرآن وعلومه، بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

فقد تعرضت هذه الدارسة لسورة الروم من وجهين:

الوجه الأول: وهو متشابه لجانب من جوانب دراستي، ألا وهو التعريف بالسورة، ويشتمل على:

١- اسم السورة وسبب التسمية.

٢- عدد آياتها وترتيبها في النزول.

٣- زمن ومكان نزول السورة.

٤- محور السورة.

٥- الأهداف العامة للسورة.

٦ -المناسبات.

الوجه الثاني المغاير لدراستي وهو: عرض لآيات سورة الروم المتضمنة للقراءات العشر؛ فقد عرضت القراءات الواردة لآيات سورة الروم، فأتت على الآية التي بها أكثر من قراءة، ووضحت المعنى الإجمالي للآية؛ ثم المعنى اللغوي للقراءة، والعلاقة بين القراءتين، ثم الجمع بين القراءات.

المبحث الثاني
الإطـــار النظـــري
المطلب الأول
تسمية سورة الروم وسبب ومكان نزولها وعدد آياتها والمعنى العام لها

سميت سورة الروم بهذا الاسم عند السلف وعند الخلف، ومما يدل على هذه التسمية ما روي في الحديث عن الأعز المزني عن النبي ﷺ: (أنه صلى الصبح، فقرأ سورة الروم، والتبس عليه، فلما صلى قال: ما بال أقوام لا يحسنون الطهور؛ فإنما يلبس علينا القرآن أولئك)[١٤].

واتفقت المصاحف على كتابتها بهذا الاسم، وفي الحديث عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿آلم غلبت الروم﴾، قال: غلبت وغلبت، كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فذكروا لأبي بكر، فذكر أبو بكر لرسول الله ﷺ أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر ﷺ، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلًا؛ فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا؛ فجعل أجل خمس سنين[١٥].

وقد ذكر السخاوي اسمًا آخر. "هي مكية كما روي عن ابن عباس، وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم، بل قال ابن عطية وغيره: لا خلاف في مكيتها ولم يستثنوا منها شيئًا، وقال الحسن: هي مكية إلا قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾.[الروم: ١٧] الآية وهو خلاف مذهب الجمهور"[١٦].

وذكر المراغي في تفسيره: "هي مكية إلا قوله تعالى: ﴿ولَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ فمدنية وآيها ستون، نزلت بعد سورة الانشقاق"[١٧].

المفردات:

الرُّومُ: المقصود بها هنا مملكة الرومان وعاصمتها القسطنطينية؛ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ المراد هنا أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم[١٨]، ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ **(البضع)** معناها: ما بين الثلاثة إلى التسع من السنوات[١٩].

سبب النزول:

لقد نزلت هذه الآيات الكريمات عندما غزا فارسُ الرومَ، وغلبوهم في مشارف الشام مما يلي بلاد العرب، ففرح بذلك المشركون العرب؛ فقد قالوا: إن الفرس لا كتاب

لهم مثلنا، والروم لهم كتاب مثلكم لأنهم من النصارى، ولننتصرن عليكم كما انتصر الفرس؛ فحلف سيدنا أبو بكر بعد نزول الآية الكريمة: أن الروم سيغلبون الفرس بعد هزيمتهم هذه، فقالوا له: اجعل لنا موعدًا ونراهنك على ذلك؛ فجعل موعدًا بسيطًا، ثم ذهب فاستشار النبي ﷺ فقال له: زد في الرهان، ومد الأجل، فإن البضع من ثلاث إلى تسع؛ ففعل ذلك وانتصرت الروم في السنة التاسعة، وأخذ أبو بكر الجعل، وتصدق به.

"أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت: ﴿ألم غلبت الروم﴾ إلى قوله: ﴿بنصر الله﴾ يعني بفتح الغين. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود ونحوه."(٢٠)، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب، قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين –وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا إلا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم؛ فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسنغلبكم فيه كما غلب فارس الروم؛ فأنزل الله: "الم غلبت الروم"، وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يغمر وقتادة، فالرواية الأولى على قراءة "غَلبت" بالفتح؛ لأنها نزلت يوم غلبتهم يوم بدر، والثانية على قراءة الضم؛ فيكون معناه: وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون؛ حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى، وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجب الكفار أشد العجب من إحياء الله للموتى فنزلت الآية: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾(٢١)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس ﷺ قال: كان يلبي أهل الشرك "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك". فأنزل الله: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾(٢٢)، الآية ٢٨ سورة الروم، وأخرج جويبر مثله داود بن أبي هند عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه"(٢٣).

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- إن السورة السابقة (العنكبوت) بدئت بالجهاد وختمت به، فافتتحت بأن الناس لم يخلقوا في الأرض لينامو على مهاد الراحة، بل خلقوا ليجاهدوا حتى يلاقوا ربهم، وأنهم يلاقون شتى المصاعب من الأهل والأمم التي يكونون فيها، وهذه السورة قد بدئت بما

يتضمن نصرة المؤمنين ودفع شماتة أعدائهم المشركين، وهم يجاهدون في الله ولوجهه؛ فكأن هذه متممة لما قبلها من هذه الجهة.

٢- "إنّ ما في هذه السورة من الحجج والبراهين على التوحيد، والنظر في الآفاق والأنفس مفصلٌ لما جاء منه مجملًا في السورة السالفة؛ إذ قال في السالفة: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] إلخ، وهنا بيّن ذلك، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: ٩] إلخ، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ١١]"(٢٤).

ولما ختم الله جل جلاله السورة التي قبلها بأنه مع المحسنين، قال: ﴿الم﴾ مشيرًا بألف القيام والعلو ولام الوصلة وميم التمام إلى أن الملك الأعلى القيوم أرسل جبرائيل عليه الصلاة والسلام الذي هو وصلة بينه وبين أنبيائه عليهم الصلاة والسلام إلى أشرف خلقه محمد ﷺ المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق، يوحي إليه وحيًا معلمًا بالشاهد والغائب، فيأتي الأمر على ما أخبر به دليلًا على صحة رسالته، وكمال علم مرسله، وشمول قدرته، ووجوب وحدانيته.

ولما ختم المولى جل جلاله في آخر سورة العنكبوت بمدح المجاهدين، وأنه سبحانه لا يزال مع المحسنين، وكانت قد افتتحت بأمر المفتونين؛ فكان كأنه قيل:" لنفتننكم ولنعمين المفتين ولنهدين المجاهدين، وكان أهل فارس قد انتصروا على الروم، ففرح المشركون، وقالوا للمسلمين: قد انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب، فلننصرن عليكم، فأخبر الله تعالى بأن الأمر يكون على خلاف ما زعموا، فصدق مصدق وكذب مكذب؛ فكان في كل من ذلك من نصر أهل فارس وإخبار الله تعالى بإدالة الروم فتنة يعرف بها الثابت من المزلزل، وكان من له كتاب أحسن حالًا في الجملة ممن لا كتاب له، افتتحت هذه بتفصيل ذلك تصريحًا بعد أن أشار إليه بالأحرف المقطعة تلويحًا غيبًا وشهادة، دلالة على وحدانيته وإبطال الشرك؛ فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر، وأنه يسرُّ المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل، وخذلان أهل العراقة في الباطل والجهل، وجعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين، فقال مبتدئًا بما أفهمه كونه مع المحسنين مع أنه ليس مع المسيئين: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ٢] أي: لتبديلهم دينهم غلبهم – الفرس في زمن أنوشروان أو بعده."(٢٥)

سورة الروم تدور حول إثبات أن الأمر لله من قبل ومن بعد، مع ذكر بعض صفات الله الواجبة له سبحانه، وتهديد المشركين، وبيان أن الإسلام دين الفطرة، وبيان

طبيعة الإنسان، وجاء فيها ذكر الآيات الكونية الدالة على العلم والقدرة والوحدانية والتفكر في الأنفس والآفاق.

المعنى العام للسورة وسياق آياتها معًا يتعاونان في إيضاح وتوصيف مضمونها الرئيسي، ألا وهو الكشف عن طبيعة أحوال الناس وتقلباتهم، وأحداث الحياة ونوازلها، وعن ماضي البشرية وعن حاضرها وعن مستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود. ومن خلال هذه الارتباطات يظهر جليًا لكل متأمل أن كل حركة وكل سكون، وكل حادثة وكل حالة، وكل نصر وكل هزيمة وكل نشأة وكل عاقبة. كلها مرتبطة برباط قوي ووثيق، محكومة بقانون دقيق، وأن مرجع الأمر فيها كله للّه: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. وهذه هي الحقيقة الأولى التي يؤكدها القرآن الكريم من بدايته إلى منتهاه.

المعنى العام:

إذا نظرنا إلى مجموع السورة كاملة بشكل موضوعي وتنقلنا بين آياتها؛ نجدها تتحدث عن عشرة مواضيع أساسية:

الموضوع الأول: الإخبار عن أمور غيبة ومستقبلية لم تقع بعد:

فقد استهلت سورة الروم في بدايتها من الآية الأولى وحتى الآية السابعة بالإخبار عن أمر غيبي مفاجئ غير متوقع الحدوث، وتحدثت عن حادثة عظيمة ستقع بعد عدة سنوات.

لقد غلبت الفرس الرّوم في أقرب أرض الرّوم إلى بلاد العرب، في أعلى مشارف بلاد الشام، في الجزيرة: وهو موضع بين العراق والشام، ففرح المشركون الكفرة لذلك، وأدنى الأرض معناه: أقرب الأرض، فإن كانت الواقعة بأذرعات كما يقول عكرمة، فهي من أدنى الأرض بالنسبة إلى مكّة، وإن كانت الواقعة بالجزيرة كما يقول مجاهد، فهي أدنى الأرض بالنسبة إلى أرض كسرى الفرس. فبشّر الله تعالى عباده المؤمنين بأن الروم سينتصرون في بضع سنين، والبضع: من الثلاث إلى التّسع من السنوات، وذلك من تاريخ الموقعة الأولى. وهذا إخبار عن أمر غيبي في المستقبل، أكده الواقع، ولله الأمر كله من قبل الغلبة ومن بعدها، فيجعل الله الغلبة لفئة على أخرى، ثم يحدث العكس، بأمر الله جل جلاله وإرادته ووقدرته، خلافًا للموازين العسكرية البشرية، فقد يتغلب الضعيف على القوي أو القليل على الكثير، بإذن الله وإرادته، كما قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ

ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] هذا إخبار بانفراد الله بالقدرة، ويوم ينتصر الرّوم النّصارى على الفرس الوثنيين، يفرح المؤمنون بنصر الله أهل الدين والإيمان، على من لا دين له ولا كتاب من السماء، ينصر الله من يريد على الأعداء؛ لأنه الفعّال لما يريد، والحكيم في إرادته، والقويّ الذي لا يغلب، المنتقم من أعدائه، الرّحيم بعباده المؤمنين.

ذلك وعد حقّ من الله تعالى، وخبر صدق واقع، والله لا يخلف الميعاد، ولا بدّ من وقوعه؛ لأن في سنّة الله تعالى أن ينصر أقرب الفريقين المتقاتلين إلى الحق، إلّا أن يكون ذلك محنة وابتلاء لفئة بفئة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بحكم الله وأفعاله القائمة على العدل والحكمة، لجهلهم بالسّنن الجارية في الكون، كما قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وعلمُ الناس –وبخاصة الكفرة الذين لا يعلمون أمر الله وصدق وعده– علم ظاهري بأحوال الدنيا وعلومها المادّية، كتدبير: شؤون المعيشة، واكتساب الأموال من مصادر الثروة المتعددة، من زراعة أو صناعة أو تجارة، أو مهنة حرة أو خدمة ونحوها، وهم مشغولون بعلومهم هذه، لا ينظرون إلى المستقبل، وهم في غفلة تامة أو شبه تامة عن شؤون الآخرة، وما فيها من خوالد الأشياء، ودوام المصير.

هذا الخبر الغيبي له مغزاه وهدفه في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ فلقد ترجّى النّبي ﷺ ظهور دينه وانتشار دعوته، وامتداد تطبيق شريعة الله عزّ وجلّ التي أرسله الله بها، وتغلّبه على الأمم والشعوب التي تدين بدين غير سماوي، وتبدّد آمال كفار مكّة بأن يرمي الله نبيّه بملك يستأصل وجوده، ويريحهم منه، ولكن خسر هنالك المبطلون.

الموضوع الثاني: التفكر بما خلق الله يدل على وجوده جل جلاله، وهو الذي يعيد خلق الإنسان يوم القيامة:

لقد خاطب الله المشركين في هذا المقطع من الآية الثامنة إلى الآية السادسة عشرة، وحثهم على إعمال عقولهم وليتفكروا ويعلموا أن خلق السماوات والأرض وما بينهما لم يكن عبثًا، وأن هذه المخلوقات العظيمة لابد أن يكون لها خالق قادر على كل شيء، ألم ينظر الجاحدون إلى مصير من كان قبلهم الشعوب كيف كانت عاقبتهم، وكيف أهلكهم الله؛ لأنه كفروا وكذبوا رسلهم مع أنهم كانوا أشد منهم قوة

وأكثر بأسًا، كيف دمرهم الله، وأخلى بلادهم، وبقيت دراسة بعدهم، كعاد وثمود، وغيرهم من الأمم العاتية، والجبابرة الطاغية[٢٦]، كفرعون ذي الأوتاد، فقد طغوا في البلاد فصب عليهم الجبار المنتقم سوط عذاب فأهلكهم بذنوبهم ودمر عليهم بنيانهم ثم مأواهم إلى جهنم وبئس المصير، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وهذه هي عاقبة المنكرين الذين استهزؤوا بآيات الله ورسله وأنكروا البعث والنشور، فالله الذي خلق الخلق هو الذي يعيد خلقه يوم القيامة يوم يحشرون للحساب.

الموضوع الثالث: تنزيه الله وحده والأدلة على وجوده وإثبات الربوبية له سبحانه وتعالى:

المقطع القرآني من الآية السابعة عشرة إلى الآية السابعة والعشرين فيه أمر إلهي لعباده بتنزيه ذاته عن صفات النقص وما لا يليق به سبحانه، وذلك في كل الأوقات في الصباح والمساء وعشيًا وظهرًا فهو المحمود دائمًا وأبدًا يحمده أهل السماوات وأهل الأرض ويصلون له.

فهو الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فيخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، ويحي الأرض بالزرع بعد أن تكون ميتة يابسة لا نبات فيها؛ فهذه الأمور لا تتأتى إلا من خالق هذا الكون وهو الله سبحانه وتعالى.

ثم جاءت الآيات التي تليها لتحدثنا عن بعض آياته الواضحة التي تدل على ربوبيته سبحانه؛ فذكر خلق البشر من تراب، فهم من آدم، وآدم خلق من تراب، وكذلك خلق الزوجة من نفس الرجل لتسكن نفسه إليه، وزرع بينهما مودة ورحمة وشفقة، وفي هذا حكمة بالغة، و"كذلك من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لكم من صنفكم وجنسكم نساءً آدميات مثلكم، ولم يجعلهن من جنسٍ آخر[٢٧]، كذلك من آياته الباهرة خلق السماوات والأرض الدالة على كمال قدرة الحق جل جلاله. وكذلك اختلاف البشر في الألسنة واللغات من عرب وعجم واختلافهم في الألوان من أبيض وأسود وأحمر؛ إن في هذا وغيره دلالة على كمال قدرته سبحانه.

ومن آياته: أنه يريكم البرق طمعا بالمطر الذي فيه حياء للأرض وخوفًا من الصواعق.

ومن آياته: أن السماوات متماسكة بأمره وقدرته من غير أعمدة، وأن الأرض ثابتة بأمره وقدرته فلا تنقلب بمن فيها، ثم إذا دعاكم إلى الخروج من القبور فستخرجون للحساب والجزاء بدون تأخير.

الموضوع الرابع: ضرب المثل لإثبات الوحدانية له ونفي الشريك والأمر باتباع دين الإسلام:

وأما المقطع الرابع الذي يبدأ من الآية الثامنة والعشرين وحتى الآية الثانية والثلاثين، فقد جاء لضرب الأمثلة لنفي وجود شريك لله يستحق العبودية، ولإثبات الربوبية والوحدانية للحق جل جلاله؛ فلا معبود بحق إلا الله، ودين الإسلام هو الدين الحق الذي يجب إتباعه.

الموضوع الخامس: توصيف حال الناس باللجوء إلى الله عند المحن وإعراضهم عنه عند زوالها:

جاء المقطع الخامس من الآية الثالثة والعشرين وحتى الآية السابعة والعشرين ليصف حال المشركين الذين يدعون الله ويلجأون إليه في وقت الشدائد، فإذا زالت عنهم المحن والمصائب عادوا إلى ما كانوا عليه سابقًا، فشنع عليهم هذا الفعل، ثم وصف حال بعض الناس إذا أنعم على أحدهم بنعمة فرح بها وتفاخر على غيره، وإذا أصابته محنة سخط ويئس من رحمة الله ولم يعلم أن الله بيده مقاليد كل شيء؛ فهو الذي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء ابتلاء لهم، ولكن المؤمن هو الذي يرضى بكل مايصيبه؛ فإن أصابته نعماء شكر وإن أصابته ضراء صبر، وفي كلا الأمرين خير، وأما الكافر فيعترض على حكم الله ويأس.

الموضوع السادس: الأمر بالإنفاق على الأرحام والابتعاد عن المال الحرام:

وهذا المقطع الذي يبدأ من الآية الثامنة والثلاثين وحتى الآية الأربعين، يخاطب الحق جل جلاله النبي محمد ﷺ بصيغة الأمر، والمقصود بذلك هو وأمته لينفقوا أموالهم لذوي القربى المحتاجين لما في ذلك من البر وصلة للأرحام، وعطاء المسكين، والمسافر الذي انقطعت به السبل عطاء لوجه الله تعالى، وابتغاء لمرضاته لا رياء في ذلك ولا سمعة حتى ينال الثواب والأجر من الله، فعند الله يزيد ويضاعف، وأما الربا فلا تربو ولا تزيد عند الله، بل يمحقها الله.

الموضوع السابع: عاقبة المشركين المفسدين وجزاء المؤمنين الصالحين:

في هذا المقطع من الحادية والأربعين إلى الآية الخامسة والأربعين يبين المولى سبحانه وتعالى ما يصيب الناس من مصائب؛ فذلك بسبب فسادهم ومعاصيهم وما كسبت أيديهم، ثم أمر الله سيدنا محمدا ﷺ أن يأمر المشركين بالسير في البلاد والنظر إلى مساكن الظالمين: كيف خرب الله عليهم ديارهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر لشركهم وكفرهم؛ فأقم وجهك للدين حنيفًا؛ فالله سيجزي المؤمنين الصالحين من فضله

وكرمه.

الموضوع الثامن: من آيات الله الرياح والأمطار فهي تدل على قدرة الله، وتشبيه الكفار بالموتى:

يذكر الله عباده في هذا المقطع من الآية السادسة والأربعين إلى الآية الثالثة والخمسين: أن الرياح والأمطار هي من نعمه على عباده، فالرياح بشارة خير لنزول المطر، ومن المعروف علميًّا أن الهواء عندما يبرد يصعد في الجو وتنخفض درجة حرارته تلقائيًّا، وكذلك يحدث العكس عند الهبوط، فيصبح ساخنًا، ومن سنن الله جل جلاله أن الهواء عندما يبرد تقل قدرته على حمل بخار الماء، وبذلك يتكاثف بخار الماء في صورة سحاب أو مطر أو غيرهما.

وقد قام علماء الأرصاد الجوية بتجارب كثيرة ومطولة حول كيفية تشكل الغيوم وآلية نزول المطر. وبعد وضع نظريات علمية عديدة حول هذا الموضوع، تم إثبات أهمية دور الرياح في عملية تشكل السحاب؛ فالرياح تحمل بخار الماء من سطح البحار والمحيطات إلى طبقات الجوّ العليا، ولكن ذرات الماء هذه تحتاج لتجميع وتكثيف حتى تتشكل الغيوم.

وهنا يأتي دور الرياح لتلقيح السحاب؛ فكيف تحدث هذه العملية؟ إن الرياح تحمل معها تلقائيًا ذرات الغبار والملح الناعمة، وهذه الذرات عندما تصعد إلى الجوّ وبارتفاع عدة كيلومترات؛ حيث تكون درجة الحرارة منخفضة جدًّا، فتتجمع حولها ذرات الماء لتشكل قطرات، وبالنتيجة تتشكل الغيوم الثقيلة، لعل السبب المباشر في حمل الرياح للسحاب الأثقل منه هو الاضطراب في الرياح المتداخلة، ووجود رياح تصاعدية، والتقاء الرياح الباردة بالرياح الدافئة يكون بالتلاقح، وهذا التلاقح بالغ الأهمية؛ لتسريع عمليات تكاثف بخار الماء، ومن ثم هطول المطر.

وقد عبر الباري سبحانه وتعالى عن هذه الرياح بلفظ الفعل المضارع (تثير) دون غيره من الأفعال التي تبدو متقاربة في المفهوم العام مثل: (تنشئ أو تجعل أو تشكل)، فهذه أفعال لم تكون لتعبر بشكل دقيق علميًّا يوحي عن كيفية تشكل الغيوم في خلايا العواصف بحالة مشبعة بالإثارة عند التقاء الرياح وتمازجها.

وما يؤكد هذه الحقيقة العلمية أن الذين يراقبون بالكاميرات الدقيقة والتلسكوب كيفية تشكّل السحب عند التقاء الرياح وتمازجها، يرون عملية الإثارة المدهشة التي تحصل في تلك السحب على حقيقتها، وبشكل يجسد لفظة (تثير) بكل دقة وثراء.

فهذه الحقائق الكونية لم يكن لأي شخص علم بها زمن نزول القرآن، فلم يكن أحد يعلم عن تشكل الغيوم شيئًا، أو عن دور الرياح وفوائدها، أو عن أهمية تلقيح الرياح للغيوم، ولكن العلم الحديث كشف لنا هذه الحقائق، وجاء ذكرها في كتاب الله جلية واضحة.

ولم يكن لأحد إلمام بوظيفة الرياح في حمل دقائق المادة إلى السحب لتساعد على تكثف هذا البخار حتى العصر الحديث، وهذا من إعجاز القرآن الكريم حينما ذكره سابقًا ما يشهد لهذا القرآن العظيم بالدقة، والوضوح، والسبق العلمي عن أحدث الاكتشافات العلمية.

فكيف عرف نبينا الأمي مُحمَّد ﷺ كل هذه الحقائق العلمية عن تكوّن السحاب ونزول المطر التي لم يعرفها البشر إلا مؤخرًا وبعد التطوّر العلمي، وتقنيات وسائل الرصد الجوي المتطوّرة. فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن من لدن عليم خبير. ثم ذكر الحق جل جلاله أنه وإن كذبت يا محمد بما جئت فقد كذبت الرسل من قبلك بما جاؤوا به فانتقم الله منهم واستثنى المؤمنين ونجاهم، وهذا تسلية للنبي محمد ﷺ. ثم بين حال الكافرين وعنادهم وبين أن هؤلاء الكفار حالهم كحال الأموات لا ينفع معهم موعظة ولا نصح.

الموضوع التاسع: بيان مراحل حياة الإنسان، وعرض حال المجرمين يوم القيامة ورد أهل العلم والإيمان:

وفي هذا المقطع القرآني من سورة الروم من الآية الرابعة والخمسين إلى الآية السابعة والخمسين: يصف المولى سبحانه وتعالى الأحول التي يمر بها الإنسان، فقد خلق من شيء ضعيف وهو النطفة فجعل النطفة علقة ثم جعل العلقة مضغة ثم كون العظام ثم كسا هذه العظام لحمًا، ثم نفخ فيه من روحه، ثم أخرجه طفلًا ضعيفًا من بطن أمه، ثم تأتي مرحلة القوة بعض هذا الضعف وهي قوة الشباب، ثم بعد هذه القوة تأتي مرحلة ضعف أخرى، وهي ضعف الشيخوخة والهرم وهذه المراحل كلها دليل على قدرة الله يخلق ما يشاء.

ويوم تقوم الساعة حينما يحشر الناس للحساب، يقسم المجرمون أنهم ما مكثوا في حياتهم الدنيا إلا ساعة بالنسبة إلى مكوثهم في عالم البرزخ، أو بالنسبة لبقائهم طويلًا في المحشر، فهم كاذبون في قسمهم كما كانوا يكذبون في الدنيا.

ثم جاء جواب المؤمنين لهم في هذا الموقف لقد لبثتم مدة طويلة من أيام

الدنيا، وذلك في علم الله وقضائه، ولكنكم كنتم مكذبين للحشر منكرين له، ففي هذا اليوم لا ينفع اعتذار الظالمين ولا تقبل منهم توبة، فمكانها في الدنيا أما اليوم فهو يوم الحساب والجزاء.

الموضوع العاشر: ضرب الأمثال في القرآن لأخذ المواعظ والعبر، وحث النبي ﷺ على الصبر والتحمل في الدعوة إلى الله:

وفي ختام هذه السورة جاء المقطع الأخير من الآية الثامنة والخمسين إلى الآية الستين ليبين أن المولى قد ضرب الأمثلة الواضحة، وذكر الأخبار والعبر لتوضح للناس الحق من الباطل، فالقرآن الكريم مليء بالأمثلة والقصص وأخبار الأمم السابقة وما حل بهم حينما أعرضوا عن الحق وكذبوا رسلهم، وكيف كانت عاقبتهم، ولكن يا محمد مهما جئت للكفار بمعجزة أو آية ملموسة -كما جاء موسى بالعصا وفلق البحر، وكما جاء عيسى بالمعجزات من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، وغير ذلك من الآيات التي يطلبونها كانشقاق القمر- فلن يؤمنوا بك، وسيقول الكفار: إن أنتم إلا مبطلون تتبعون السحر والباطل، ثم جاء التثبيت الإلهي والحث على الصبر، فاصبر يا محمد على كفرهم وتكذيبهم لك؛ فإن الله وعدك بالنصر عليهم، وإن وعد الله حق، ولا تكترث بما يقولون فإنهم ضالون.

المبحث الثالث
استنباط آيات الله في الأنفس
المطلب الأول: إعجاز الله في خلق الإنسان

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠].

قد خلق الله الإنسان وجعله خليفته في الأرض، وفضله كرمه عن جميع المخلوقات بالعقل وتتجلى قدرة الله تبارك وتعالى في العديد من المعجزات والعجائب في خلق الله للإنسان التي لا يمكن حصرها وهي من الدلائل على قدرة وعظمة خالقه تبارك وتعالى. وقد أمر الله الإنسان بالتأمل والتفكر والتدبر في صنعه وخلقه له، ليدرك ويتيقن أنه الخالق وحده لا شريك له، قال تعالى:﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وتظهر قدرة الله تبارك وتعالى في خلق الإنسان في خلق آدم عليه السلام أبو البشر من طين ثم خلق حواء من ضلعه الأيسر(٢٨)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا

ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ويتضح لكل متأمل في الآية الكريمة أن المرحلة الأولى لنمو الإنسان هي مرحلة تلقيح البويضة عن طريق الحيوان المنوي للرجل ثم تستمر عملية النمو تدريجيا حتى تكون الجنين في رحم أمه تم الولادة.

ومن الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان هذا العدد والكم الهائل من الأجهزة والأعضاء التي يحتويها جسم الإنسان والتي لكل منها دوره الحيوي ووظيفته المحددة في الحفاظ على استمرار حياة الإنسان وهي تعمل وفق نظام دقيق ومحكم حدده الله تبارك وتعالى، ويقف العلماء عاجزين أمام دقة هذا التكوين وتماسك هذا البناء الضخم والمترابط والذي يكمل بعضه البعض والذي يدل دلالة قاطعة على قدرة الله المطلقة في خلق الإنسان

إن خلق الإنسان بهذه الصورة يعد من آيات الله العظيمة، خاصة إذا علِمنا أن كل طور من هذه الأطوار يعدُّ آية في ذاته، كما أن إخبار الله -سبحانه -عن هذه الأطوار والمراحل في القرآن الكريم يعتبر من الإعجاز العلمي، لا سيما وأن العلم الحديث مع تطوره وكثرة معداته الحديثة، لم يتوصَّل إلى هذه الأطوار إلا منذ سنوات قليلة، قال تعالى ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

من الواضح أنه قبل عملية خلق الإنسان قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن فيه الإنسان مذكورًا كما في قوله تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان:١].

أولًا: العناصر التي خلق منها الإنسان الأول:

١. الماء:

يعتبر الماء هو العنصر الأول الذي خلق الله منه كل شيء حي ماعدا الملائكة والجن مما هو حي؛ لأن الملائكة خُلِقوا من نور، والجان خُلِقوا من نار، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ويندرج تحت قوله تعالى ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ جسم الإنسان، بل يمكن لنا القول: أن الإنسان خلقه الله من الماء، يقول الحق جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٤].

٢. التراب:

إن مادة التراب هو عنصر أساسي من عناصر تكوين كل إنسان بعد آدم

عليه السلام، إذ من الترابِ يكون النبات، ومن النبات يكون الغذاء، ومن الغذاء يكون الدم، ومن الدم تتكون النطفة، ومن النطفة يتكون الجنين، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [فاطر: ١١].وقال تعالى:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]. والآيات في ذلك كثيرة.

ويوجد تحقيقٌ آخر للعلماء حول خلق الله الناس من تراب، وهو أن الله خلق أباهم آدم منها، ثم خلق من آدم زوجَه، ثم خلق البشرية منها عن طريق التناسل، فلما كان أصلُهم الأول من ترابٍ، أطلق عليهم أنه خلقهم من ترابٍ؛ لأن الفروع تتبع الأصل، وقد توصَّل العلم الحديث في الآونة الأخيرة إلى أن كل العناصر المكوِّنة للإنسان هي عناصر التراب.

ثانيًا: المراحل التي تدرج بها خلق الإنسان الأول:

١ . المرحلة الأولى: الطين:

والطين ناتجٌ امتزاج عنصرَين اثنين لا ثالث لهما، وهما الماء والتراب، ولذلك فالطين هو المركَّب الذي يتكوَّن منه خلق جسد الإنسان، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة: ٦- ٩]. ويصف المولى سبحانه وتعالى هذا الطين بأنه كان طينًا لازبًا؛ أي: لزجًا لاصقًا متماسكًا يشدُّ بعضه بعضا، قال -تعالى-: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١].

ومما هو جديرٌ بالذِّكر أن سببَ اختلاف البشرفي صفاتهم وأشكالهم وأخلاقهم وألوانهم، يرجع إلى المادة التي خلق الله منها آدم وهي التراب؛ حيث جمعها المولى تبارك وتعالى من جميع الأرض، قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدمَ على قدرِ الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك والسهل والحزن، وبين ذلك والخبيث والطيِّب، وبين ذلك»"[٢٩].

٢ . المرحلة الثانية: الحمأ المسنون:

بعد أن مزج الله الطين المكون من الماء والتراب تركه حتى صار حمًا

مسنونًا، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦]، و(الحمأ) هو الطِّين الأسود المتغيِّر الطِّين من مجاورة الماء له(٣٠)، كما ذهب إلى ذلك أغلب المفسرين، أما المسنون ففيه خلاف بين عامة المفسِّرين، فقيل: هو المصوّر المفرغ على هيئة الإنسان كالجواهر المذابة التي تصب فى القوالب(٣١)، وعن ابن عباس ﷺ أنه لما سأله نافعُ بن الأزرق عن معنى المسنون، وأجابه بأن معناه المصوَّر، قال له: وهل تعرف العرب ذلك؟ فقال له ابن عباس: نعم، أما سمعت قول حمزةَ بنِ عبد المطلب ﷺ وهو يمدح رسول الله ﷺ:

أغرٌّ كأنَّ البدرَ سنةَ وجهِه جلا الغيمُ عنه ضوءَه فتبدَّدا

وقال بعضهم: المسنون هو المصبوب المفرغ؛ أي: أفرغ صورة الإنسان كما تفرغ الصور من الجوهر في أمثلتها. وقيل في معنى المسنون: أنه المنتن، وقال بعضهم: المسنون هو الأملس، كما قال الشاعر:

ثم خاصرتُها إلى القبَّةِ الخضراء تمشي في مرمرٍ مَسنونِ

"ويرجِّح الشنقيطي الرأي الأول بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]؛ أي بعد أن مزَج الخالق تبارك وتعالى عنصرَي التراب والماء صار المزيج طينًا لازبًا لاصقًا، ثم بعد ذلك صار هذا الطين حمأ أسودًا مسنونًا مصورًا."(٣٢)

٣ . المرحلة الثالثة: الصلصال:

بعد أن انتقل الطين إلى حمأٍ مسنون في صورة آدم أصبح صلصالًا كالفخار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾. [الرحمن: ١٤]، والصلصال هو: طين يابس يصلصل ويصوّت إذا نقر وهو غير مطبوخ، فإذا طبخ فهو فخّار، وهذا ما ذهب إليه أكثر أهل التفسير(٣٣). والصلصال يشبه الفخار إلا أنه ليس بالفخَّار؛ لأن الله لم يُدخِل آدم النار، حتى يكون فخارًا.

وخلاصة ما في الأمر: أن الله جل جلاله لما خلط عنصرَي التراب والماء أصبح طينًا، ثم أنتن الطينُ فأصبح حمًا مسنونًا مصورًا على هيئته، ثم يبِس فأصبح صلصالًا، وإلى هذه المرحلة لم يبدأ آدم في الحياة بعد.

أما بخصوص الفترة الزمنية التي بينَ مرحلة الطين وبين مرحلة الحمأ المسنون وبين مرحلة الصلصال، فإن الله جل جلاله لم يُحدِّدها في القرآن الكريم، وأيضًا لم يرِدْ بشأنها أي حديث شريف صحيح يُستَدلُّ به على فترة زمنية معينة، ومن

الأحاديث التي تُوضح لنا هذه المراحل بالتفصيل: ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينًا، ثم تركه حتى إذا كان حمًا مسنونًا خلقه وصوَّره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالًا كالفخَّار، قال: فكان إبليس يمرُّ به فيقول له: لقد خُلِقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطَس، فلقَّاه الله حمد ربه، فقال الله: يرحمك ربك»"[٣٤].

٤.المرحلة الرابعة: هي نفخ الروح:

بعد أن خلق الله تعالى الإنسان الأول وصوَّره، ثم صار صلصالًا؛ أي يبِس الطين بعد تصويره نفخ الروح في جسد آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

خاطب الله سبحانه وتعالى ملائكتَه قبل أن يخلق آدمَ أنَّ عليهم أن يسجدوا لهذا المخلوق بعد أن ينفخ الروح في جسده. وهذه الآية تدلُّ على أن الحق جل جلاله لما نفَخ الروح في آدم عليه السلام، أوجَب مباشرة على الملائكة أن يسجدوا له سجود تحية وإجلال لا سجود عبادة؛ لأن الفاء هنا تفيد التعقيب وتمنع التراخي. يقول صاحب الظلال: "ما كان لهذا الكائنِ الصغير الحجم، المحدود القوة، القصير الأَجَل، المحدود المعرفة، ما كان له أن ينال شيئًا من هذه الكرامة لولا تلك اللطيفة الربانية الكريمة (النفخة العلوية التي جعلت منه إنسانًا) وإلا فمَن هو؟، إنه ذلك الخلق الصغير الضئيل الهزيل الذي يحيا على هذا الكوكب الأرضي مع ملايين الأنواع والأجناس من الأحياء، وما الكوكب الأرضي إلا تابعٌ صغير من توابعِ أحدِ النجوم، ومن هذه النجوم ملايين الملايين في ذلك الفضاء الذي لا يدري إلا الله مداه... فماذا يبلغ هذا الإنسان لتسجدَ له ملائكة الرحمن إلا بهذا السر اللطيف العظيم؟! إنه بهذا السر كريم، فإذا تخلَّى عنه أو اعتصم منه ارتدَّ إلى أصله الزهيد من طين"[٣٥].

وقد نسب المولى جل جلاله الروح إلى ذاته، للتأكيد بأن هذه الروح لا يملكها إلا هو سبحانه وأن مَرَدَّ حقيقتها وكُنهِها له سبحانه وتعالى، وهذا مما استأثر به، ولا سبيل لأحد إلى معرفته، قال ابن العربي: الروح خلق من خلق الله تعالى جعله الله في الأجسام فأحياها به وعلمها وأقدرها، وبنى عليها الصفات الشريفة والأخلاق الكريمة، وقابلها بأضدادها لنقصان الآدمية، فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر لظهور آثارها، وإذا أراد معرفتها وهي بين جنبيه لم يستطع لأنه قصر عنها وقصر به دونها[٣٦].

إذن فالروح أمر معنوي اعتباري لا جرم لها، ولا ترى بالعين، ولا يقوم الجسد إلا بها، فهي الطاقة التي تحرك الإنسان وتحمله بل وتحميه، فإذا أردنا أن نضرب مثالًا مبسطًا لتقريب الموضوع للأذهان عن العلاقة بين الجسد والروح واحتياج أحدهما للآخر فهو أشبه بالآلة الكهربائية كالثلاجة مثلًا فهي بحاجة إلى الطاقة الكهربائية لتشغلها وتجعل منها الفائدة المرجوة من صنعها، وبدون هذه الطاقة لا قيمة لها ولا فائدة منها وتصبح معرضة للهلاك إذا نزعنا منها الطاقة الكهربائية لعدم تشغيلها، وكذلك جسم الإنسان، لا فائدة ترجى منه بدون الروح فهو بدونها جثة هامدة لا حول له ولا قوة، فالروح هي الطاقة الربانية التي تحركه وتجعل منه إنسانا ذا قيمة وفائدة، ولا يعمل الجسد بدونها، فهي حاملة له وحامية من الضرر والهلاك الذي سيلحق جسده عندما تنزع الروح منه فتظهر رائحته الكريهة ويتعفن جسده ويتآكل، وقد نسب المولى سبحانه وتعالى الروح لنفسه تشريفًا وتكريمًا لهذا المخلوق وهو الإنسان الذي جعله خليفة له في الأرض ليتحمل تلك الأمانة على عاتقه بعد أن عجزت وأبت عنها السماوات والأرض والجبال وأشفقن منها.

فيا أيها الإنسان الذي ميزك الله عن سائر مخلوقاته بهذه التكوين الرائع من التراب والماء والحمأ المسنون والصلصال، ثم نفخ فيك من روحه لتكون بذلك إنسانا ذا قيمة وتصبح خليفة لله في أرضه تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، ثم بعد ذلك كله تعرض عن خالقك ومصورك لتجحد وتكفر، قتل الإنسان ما أكفره.

المطلب الثاني: مراحل خلق الإنسان في بطن أُمِّه

كما أن القرآن الكريم تحدَّث عن مراحل خلق الإنسان الأوَّل، كذلك تدرَّج في الحديث عن مراحل خلق سلالة هذا الإنسان، ومن الآيات التي تُشير إلى هذه المراحل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الحج: ٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

١. المرحلة الأولى: هي النطفة:

ورد ذكر كلمة (نطفة) في القرآن الكريم في اثني عشر موضعًا:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل: ٤].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج:٥].

الموضع الرابع والخامس: قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤].

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر:١١].

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧].

الموضع الثامن: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [غافر:٦٧].

الموضع التاسع: قال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٦].

الموضع العاشر: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧].

الموضع الحادي عشر: قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢].

الموضع الثاني عشر: قال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٩].

وجاءت هذه المرحلة بعد اكتمال خلق أوَّل ذكرٍ وأوَّل أنثى من الكائن البشري، والنطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة؛ حيث يختلط بعد عملية الجِماع ماءُ الرجل مع ماء المرأة فيصير الماءان نطفة.

ومن عجائبِ قدرة الله سبحانه وتعالى أن يصلَ تَعدادُ الحيوانات المنوية التي تُنتجها الخصيتينِ إلى ما بين مائتين إلى ثلاثِمائة حيوان منوي في الدفعة الواحدة، بينما الأنثى تدفع بُوَيْضة واحدة عليها تاج مشع، ولا يصل من الكميات الهائلة من الحيوانات المَنَوية إلى البويضة إلا حيوان منوي واحد. وما أن يتم التحام الحيوان المنوي بالبويضة، حتى تبدأ البويضة المُلقَّحة بالانقسام إلى خليتينِ، ثم أربع، ثم ثمان وهكذا دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البويضة الملقَّحة، وتتم عمليه الانقسام هذه والبويضة في طريقها إلى الرَّحِم، ثم تأتي المرحلة الثانية؛ وهي:

٢. العَلَقة:

ورد ذكر لفظ العلقة في القرآن الكريم في خمس مواضع:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ﴾ [الحج: ٥].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [غافر: ٦٧].

الموضع الثالث والرابع: قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا﴾ [المؤمنون: ١٤].

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: ٣٨]، **والعلقة:** هي قطعة من العلق وهو الدم الجامد.

وبعد أن تصل البويضة المُخصَّبة إلى الرَّحِم، وبعد انقسامِها تُصبِح عبارة عن كتلةٍ من الخلايا الصغيرة، يطلق عليها اسم التُّوتة؛ حيث تُشبِه ثمرة، حينئذٍ تتعلَّق بجدار الرحم، وتستمر في التعلق مدة أربع وعشرين ساعة، وتتميز العلقة من طبقتينِ؛ هما: طبقة خارجية "آكلة ومغذية"، وطبقة داخلية، ومنها يخلق الله الجنين.

وقد سمى الله جل جلاله أول سورة نزلت في القرآن باسم هذه المرحلة، ليُذكِّرنا المولى سبحانه وتعالى بتلك اللحظات التي كان فيها الإنسان عبارة عن كتله دم عالقة بجدار الرحم تستمد منه الدفء والغذاء والسكن، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق:١، ٢].

٣ . المرحلة الثالثة: المضغة:

ذُكر لفظ المضغة في القرآن الكريم ثلاث مرَّات.مرتينِ في سورة المؤمنون، ومرة واحدة في سورة الحج، والمضغة هي القطعة الصغيرة من اللَّحم بمقدار ما يمضغ في الفم، وبعد نهاية عمليه العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الأسبوع الثالث، وهذا الطور يمر بمرحلتين:

أ- المضغة غير المُخلَّقة:

تستمر هذه المرحلة من الأسبوع الثالث حتى الأسبوع الرابع، ولا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز.

ب- المضغة المُخلَّقة:

يمر الحمل بعد نهاية الأسبوع الرابع بعدة تغيرات دقيقة ومبهرة، حيث تنمو

فيها الخلايا وتتطوَّر، ليصبح الإنسان في أحسن تقويم، وتنتهي هذه المرحلة في نهاية الشهر الثالث تقريبًا.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هاتين المرحلتين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥].

ولقد راعى القرآن الكريم الفارقَ الزمني والخلقي بين كل طَور من أطوار الخلق، فالمسافة بين النطفة والعلقة مسافة كبيرة في ميزان الخلق، وإن كانت غير بعيدة في حساب الزمان، ولذا جاء التعبير في الانتقال بين النطفة والعَلقة فاصلًا بينهم بلفظ (ثُمَّ).

المسافة بعيدة بين النطفة والعلقة، سواء أكانت نطفة الرجل (الحيوان المنوي) أم نطفة المرأة (البويضة)، أو هما مع بعض (النطفة الأمشاج)، والتي هي في قناة الرحم لتصل إلى القرار المَكِين فتستقر فيه، ولكن الانتقال من العَلَقة إلى المُضغَة سريعة والمسافة قريبة، فإن العَلَقة تصل إلى المُضغَة دون أن يكون هناك فارق زمني كبير، ولذلك جاء التعبير عنها بالفاء، دلالة على الاتصال فيها ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]، وأيضًا الفاء بين المضغة والعظام لقصر المسافة. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]، ثم تبطئ السرعة، ويأتي فارقٌ زمني وخلقي، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]

٤ . العظام:

في هذه المرحلة تتحوَّل قطعة اللحم الصغيرة إلى هيكل عظمي، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

٥ . إكساء العظام باللحم:

قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]، هذه الآية تُشِير إشارة واضحة إلى أن العظام تتشكَّل أولًا، ثم بعد ذلك يلتفُّ حولها اللحم والعضلات كأنه كساء لها، وهذا التصوير الدقيق المبهر يشير إلى إعجاز

القرآن وعظمته ودقته فليس كلام بشر.

٦ . الخلق الآخر:

وفي هذه المرحلة يكون نفخ الروح، وتكون هذه النفخة بعد مرحلة العَلَقة نحو أربعة أشهر، فقد قال النبي ﷺ: «إن أحدَكم يُجمَع خلقُه في بطنِ أُمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسَل المَلَكُ فينفخُ فيه الروح، ويُؤمَر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»(٣٧)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا﴾ [المؤمنون:١٤]؛ "أي خلقًا مباينًا للخلق الأوَّل مباينة ما أبعدها؛ حيث جعَله حيوانًا بعد أن كان جمادًا، وناطقًا وكان أبكم، وسميعًا وكان أصم، وبصيرًا وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره –بل كل عضو من أعضائه، بل كل جزءٍ من أجزائه– عجائب فطرية، وغرائب حكمته، لا تُدرَك بوصف الواصف، ولا تبلغ بشرح الشارح."(٣٨).

إن أصل الجنس البشري بدأ من سلالة من طين. وأما التكاثر والتناسل لأفراد الإنسان بعد ذلك، فقد جَرَت سُنَّة الله أن يكون ذلك عن طريق نقطة ماء تخرُجُ من صلب الرجل، فتزرع في رحم امرأة، لتصبح نطفة مائية واحدة، لا بل خلية واحدة من عشرات الآلاف من الخلايا الموجودة في تلك النقطة، لتستقر: ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]. مزروعة في الرَّحم الكائن بين عظام الحوض المحمية بها من التأثر باهتزازات الجسم، ومن كثيرٍ مما يصيب الظهر والبطن من صدمات وكدمات، وتأثرات وأذى.

والسياق البياني القرآني يجعل النطفة طورًا من أطوار نشأة الجنس البشري، تاليًا في وجودِه لوجود الإنسان، وهى حقيقة، ولكنها حقيقة عجيبة تدعو إلى التأمل، فهذا الإنسان بضخامته يُختَصر ويُلخَّص بكل عناصره وبكل خصائصه في تلك النطفة، كما يعاد من جديد في الجنين، وكي يتجدد وجوده عن طريق ذلك التخصيص العجيب، وينتقل من النطفة إلى العلقة، حينما تمتزج خلية الذَّكَر ببويضة الأنثى، وتتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في بداية الأمر، تتغذى بدم الأم، ومن العلقة إلى المضغة، حينما تكبر تلك النقطة العالقة، وتتحوَّل إلى قطعة من دم غليظ مختلط، وتمضي هذه الخليقة في ذلك الخط الثابت الذي لا ينحرف ولا يتحوَّل، ولا تتوانَى حركته المنتظمة الرتيبة، وبتلك القوة الكامنة في الخلية المستمدة من الناموس الماضي في طريقه بين التدبير والتقدير، حتى تجيء مرحلة العظام ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ

عِظَٰمًا﴾، فمرحلة كسوة العظام باللحم: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾، وهنا يقف الإنسان مدهوشًا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيرًا، بعد تقدُّم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد أثبت العلم الحديث أن خلايا العظام هي التي تتكوَّن أولًا في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور العظام، وتمام وكمال الهيكل العظمي للجنين وهي الحقيقة التي يُسجِّلها النص القرآني ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾، فسبحان الخلاق العظيم.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، هنا تظهر مزية الإنسان ذو الخصائص المتميِّزة، فجنينُ الإنسان يُشبِه جنين الحيوان في أطواره الجسدية، ولكن جنين الإنسان ينشأُ خلقًا آخر، ويتحوَّل إلى تلك الخليقة المتميِّزة، المستعدة للارتقاء، ويبقى جنينُ الحيوان في مرتبة الحيوان، مجرَّدًا من خصائص الارتقاء والكمال التي يمتاز بها جنين الإنسان.

إن جنين الإنسان مجهز بخصائص معينة لا تشابه غيره من الأجنة، هي التي تسير به لينتهي بصورة الإنسان فيما بعد، وهو ينشأ ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ في آخر أطواره الجنينية، بينما يقف الجنين الحيواني عند التطوُّر الحيواني؛ لأنه غير مزوَّد بتلك الخصائص، و بطبيعة الحال فإنه لا يُمكِن أن يتجاوَز الحيوان رتبتَه الحيوانية، فيتطوَّر إلى رتبة الإنسان تطورًا آليًّا، كما تزعم النظريات المادية، فهما نوعان مختلفان، اختلفا بتلك النفخة الإلهية التي صيَّرت سلالة الطين إنسانًا، واختلفا بعد ذلك بتلك الخصائص المعينة الناشئة من تلك النفخة، والتي ينشأ بها الجنين الإنساني ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ . قال صاحب الظلال: "وإنما الإنسان والحيوان يتشابهانِ في التكوين الحيواني، ثم يبقى الحيوان حيوانًا في مكانه لا يتعدَّاه، ويتحوَّل الإنسان خلقًا آخر قابلًا لما هو مهيَّأ له من الكمال، بواسطة خصائص مميزة، وهبها الله عن تدبير مقصودٍ لا عن طريق تطوُّر آلي من نوع الحيوان إلى نوع الإنسان"(٣٩).

وبعد أن تنتهي مرحلة نفخ الروح، تأتي مرحلة تكوين السمع والبصر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقدَّم المولى سبحانه حاسة السمع على حاسة البصر، وقد ثبت علميًّا بالدليل القاطع أن السمع يتكوَّن قبل البصر، ثم بعد ذلك يستمرُّ نمو الإنسان في بطن أمه يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر

إلى أن يكتمل نموه ويخرج من بطن أمه طفلًا، ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧].

المطلب الثالث: أطوار الإنسان في القرآن الكريم

إذا نظرنا وتدبَّرنا ما ورد في القرآن الكريم عن الإنسان نظرةَ تمعن وتحليلٍ وتقسيم لأطواره، سنجد أن الله جل جلاله لم يضَعْ حدودًا فاصلة بين أطوار ومراحل الإنسان، إلا أن الباحث اجتهد في هذا البحث معتمدًا على الله مستدلًا بالآيات والأسماء التي وردت متعلِّقة بهذه الأطوار وأقوال العلماء فيها، والله ولي التوفيق.

أولًا: مرحلة المهد:

جاء لفظ المهد في قواميس اللغة: بمعنى السريرِ الذي يُهيَّأ للطفل، ويُوطَّأ لينامَ فيه، ومهَّد بمعنى وطَّأ وسهل. "المهد: اسم للمضجع الذي يهيَّأ للصبي في رضاعِه، وهو في مهده الأصل مصدر مهده إذا بسطه وسواه"(٤٠).

ويؤكد هذا المعنى ما جاءت به الآية الكريمة وهي تحكي الحوار بين مريم وقومها بقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي: كيف تطلبين منا خطاب صبي صغير لا يفهم ولا يعقل وتحلينا إليه في الجواب، وهو على حالته رضيع في مهده ولا يملك أدنى صفات المميز.

وفي ضوء ذلك نرى: أن مرحلة المهد تبدأ من لحظة الولادة وحتى نهاية الفطام، أو هي مدة الرضاعة؛ حيث يُبسَط ويُهيَّأ للصبي فيها حتى يشتد عوده ويصبح قادرًا على الحركة والأكل مما تنبت الأرض.

ثانيًا: مرحلة الصبا: من المهد إلى ما قبل البلوغ:

ورد لفظ الصبا في المعجم الوجيز بمعنى الصغر والحداثة، وهو من "صبا فلان صبوة"، بمعنى مال إلى اللهو، وإليه حنَّ وتشوَّق، أما الاسم الصَّبي فهو الصغير دون الغلام، أو مَن لم يُفطَم بعدُ، والصَّبية والصِّبيان هو الناشئ الذي يُدرَّب على المهنة بالعمل والمحاكاة، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢].

والمقصود بقوله: ﴿صبيًا﴾ عند أكثر المفسرين لهذه الآية: أي لم يبلُغِ الحُلم بعد، وقد ذكر المفسرون في معاني هذه الآية: أن مَن قرأ القرآن قبل أن يبلغ الحلم فهو ممَّن أُوتِي الحكم صبيًّا. وقال الطبري: "وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال"(٤١). وعند الفقهاء: الصبي هو ما دون الحُلم، بدليل حديث السيدة عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: "رُفِع القلم عن ثلاثٍ، عن النائم حتى

يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقِلَ"(٤٢).

ثالثًا: مرحلة الفُتوَّة:

تمتدُّ هذه المرحلة من الاحتلام حتى مرحلة الكهولة. وقد ذكر أهل اللغة: الشباب: بين المراهقة والرجولة، والفتى: الشابُّ في أول شبابه بين المراهقة والرجولة. وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]. وقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

إذا تأملنا أقوال المفسرين في معنى (الفتية) سنجد أنها مرحلة الشباب، أو ما بعد البلوغ والاحتلام، فقال بعضهم: الفتية جمع فتى وهو جمع تكسير، وهو من جموع الفتية، ويدل لفظ الفتية على أنهم شباب لا شيب، وقال بعضهم: الفتية هي جمعٌ لفتى وهو الشاب الكامل.

رابعًا: الكهولة:

يصير الفتى كهلًا عندما تكتملُ قوَّته البدنية والعقلية؛ أي: هي مرحلة الاكتمال والرشد. والكهل: هو مَن تجاوز الثلاثين إلى الخمسين. قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران: ٤٦]. يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "الكهل: بين حال الغلومة وحال الشيخوخة"(٤٣). والعرب بطبيعتها تثني على مرحلة الكهولة؛ لأنها المرحلة الوسطى في استحكام السن ونضوج العقل وجودة الرأي والفهم. وقد أورد البغوي في تفسيرِه لهذه الآية قولًا لابن عباس، قال: "أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالتِه ثلاثين شهرًا ثم رفعه الله إليه"(٤٤).

خامسًا: الشيخوخة:

وتمتدُّ هذه المرحلة من الكهولة إلى الهرم. وفي قواميس اللغة: شاخ الإنسان شيخًا وشيخوخة: بمعنى أسن، والشيخ: مَن أدرك سن الشيخوخة، وهي غالبًا عند الخمسين، وفوق الكهل ودون الهَرِم. بعد أن يتجاوز الإنسان مرحلة الكهولة يدخل في مرحلة جديدة من النمو، ومن الملاحظ أن الإنسان في هذه المرحلة يضعُفُ عن القيام بما كان يقوم في مرحلة الكهولة، ويستمرُّ الضعفُ حتى يصل إلى النهاية وهي الوفاة ونهاية الأجل، وهذه من حكمة الله في خلقه أن كلَّ شيء إذا اكتمل يبدأ في النقص من حيث بدأ، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]. وقال جل جلاله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ أي: إن هذه المرحلة تبدأ بعد سن الأربعين.

سادسًا: مرحلة الهرم:

وجاء في معاجم اللغة: هَرِم الرجل هرمًا؛ أي: بلغ أقصى الكبر وضعف، فهو هرم، وهذه الفترة هي من أواخر مراحل الإنسان ولكن مع ذلك كل الأطوار التي يمر بها الإنسان نهايتها واحدة فقد جاء الخطاب الألهي ليبين حقيقة الأمر وخاتمته، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]، فقد يُبيِّن المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنهم بعد أن أنشأهم خلقًا آخر فأخرج الواحد منهم من بطنِ أُمه صغيرًا، ثم يكون محتلمًا، ثم يكون شابًّا، ثم يكون كهلًا، ثم يكون شيخًا، ثم يصبح هرمًا، فهم جميعهم صائرون إلى الموت سواء من طال عمره منهم أو لم يطل. ويقول أيضًا ابن كثير: "قال العوفي عن ابن عبَّاس: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ يعني: ننقله من حال إلى حال؛ أي: خرج طفلًا، ثم نشأ صغيرًا، ثم احتلم، ثم صار شابًّا، ثم كهلًا، ثم شيخًا، ثم هرمًا"(٤٥).

ومن اللافت للنظر أنه ليس هناك حدود زمنية فاصلة بين هذه المرحلة وما قبلها؛ لأن هناك فروقًا وظروفًا ومؤثرات قد تختلف من شخص لآخر، ومن بيئة إلى أخرى، كل حسب ما يسره الله له. وبالعودة إلى سورة الروم، لما بين المولى جل في علاه عظمته في الابتداء بقوله ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨] وبين قدرته في الانتهاء، بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم: ١٢] وأن الناس ينقسمون إلى قسمين، فيحكم المولى جل جلاله على القسم الأول بأن هؤلاء للجنة، ويحكم على القسم الثاني بأن هؤلاء يدخلون النار، بعد كل ذلك أمر بتنزيهه عن كل سوء، وبحمده على كل حال، فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]. والفاء في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، ولفظ (سبحان) اسم مصدر، منصوب بفعل محذوف أي نزّهوا الله سبحانه، ومعنى الآية: إذا علمتم ما أخبرتكم به قبل ذلك، فسبحوا الله –تعالى– ونزهوه عن كل نقص ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: وقت المساء حين إقبال الليل وظلامه ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: حين إسفار النهار بضيائه(٤٦). وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٨] هي جملة اعتراضية لبيان أن كل المخلوقات في الكون تحمده على نعمه، وأن

فوائد هذا الثناء تعود بالنفع عليهم لا عليه. وقوله ﴿وَعَشِيًّا﴾ معطوف على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ المقصود: سبحوا الله تعالى في كل الأوقات، حين تصبحون، وحين تمسون، وحين يسدل الليل ستره. وحين تكونون في وقت الظهيرة، فإنه هو بمفرده المستحق للحمد والثناء من أهل السماوات ومن أهل الأرض، ومن جميع المخلوقات.

وقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال:" ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى ؟ لأنه كان يقول كلما أصبح، أو أمسى: ﴿سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ حتى ختم الآية"(٤٧).

ثم بين –سبحانه– وجها من وجوه قدرته فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كإخراجه الإنسان من النطفة، والنبات من الحب، والمؤمن من الكفار ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ كما في عكس هذه الأمور، كإخراجه النطفة من الإنسان، والحب من النبات، والكافر من المؤمن. ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ} بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي: بعد قحطها وجدبها، كما قال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]، هذا تذييل قصد به تقريب إمكانية البعث من العقول والأفهام. معناه: ومثل هذا الإخراج للنبات من الأرض، وإخراج الحي من الميت، نخرجكم أيها الناس من قبوركم يوم البعث، للحساب والجزاء. ثم أورد المولى سبحانه وتعالى بعد ذلك أنواعًا من الأدلة على قدرته التي لا يعجزها شيء، منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم:٢٠]. والآيات: جمع آية، وتطلق على الآية القرآنية، وعلى الشيء العجيب، كما في قوله ـ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون:٥٠] والمراد بها هنا: الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته.

والمعنى: ومن آياته الدالة على عظمته، وعلى كمال قدرته، أنه خلقكم من تراب، أي: خلق أباكم آدم من تراب، وأنتم فروع عنه. و(إذ) في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] هي الفجائية. أي: خلقكم بهذه الصورة الباهرة من مادة التراب التي ليس فيها رائحة للحياة، ثم صرتم بعد خَلْقِنا إياكم في أطوار متعددة، بشرًا تنتشرون في الأرض، وتمشون في مناكبها، وتتقلبون فيها تارة عن طريق الزراعة، وتارة عن طريق التجارة، وتارة عن طريق الأسفار، كل ذلك طلبا للرزق، ولجمع

المال. وعبر سبحانه وتعالى بـ(ثم) المفيدة للتراخي، لأن انتشارهم في الأرض لا يتأتى إلا بعد مرورهم بأطوار متعددة، منها أطوار خلقهم في بطون أمهاتهم، وأطوار طفولتهم وصباهم، إلى أن يبلغوا سن البلوغ والرشد. وإذا الفجائية وإن كانت أكثر ما تقع بعد الفاء لكنها وقعت هنا بعد ثم، بالنسبة إلى ما يليق بهذه الحالة الخاصة، وهي أطوار الإنسان ومراحله، كما حكاها المولى سبحانه وتعالى في مواضع عديدة، من كونه نطفة، ثم مضغة، ثم عظما مكسوا لحما.

ثم انتقلت السورة الكريمة إلى بيان آية ثانية، دالة على كمال قدرته ورأفته بعباده، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] أي: ومن آياته الدالة على رحمته بكم، أنه سبحانه وتعالى خلق لكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من جنسكم في البشرية والإنسانية أزواجًا. قال الآلوسي: "قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فإن خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من أنفسكم (فمن)للتبعيض والأنفس بمعناها الحقيقي، ويجوز أن تكون (من) ابتدائية، والأنفس مجاز عن الجنس، أي: خلق لكم من جنسكم لا من جنس آخر، قيل: هو الأوفق لما بعد"(٤٨).

وقوله سبحانه: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ توضيح لسبب خلقهم على هذه الطريقة. أي: خلق لكم من جنسكم أزواجا، لتسكنوا إليها، ويميل بعضكم إلى بعض، فإن الجنس إلى الجنس أميل، والنوع إلى النوع أكثر ائتلافًا وانسجاما ﴿وَجَعَلَ﴾ سبحانه ﴿بَيْنَكُم﴾ يا معشر الأزواج والزوجات ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: محبة ورأفة، لم تكن بينكم قبل الزواج، وإنما حدثت عن طريق الزواج الذي شرعه المولى سبحانه وتعالى بين الرجال والنساء، والذي وصفه تعالى بهذا الوصف الدقيق، في قوله عز وجل ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكرناه قبل ذلك ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ عظيمة تهدى إلى الرشد وإلى الاعتبار ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في مظاهر قدرة الله تعالى ورحمته بخلقه.

المطلب الرابع
الفوائد التربوية المستفادة من دراسة أطوار الإنسان في القرآن الكريم

١ . إن هذا الإنسان الذي بدأ اللهُ خلقه من طين وماء مَهِين، قد رفع قدره وكرَّمه حيث جعل الملائكة العابدون الطائعون النورانيون الذين في طاعة دائمة لا يعصون الله ما

أمرهم يسجدون له سجود طاعة لله لا سجود عبادة لآدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وكذلك أخرج من رحمتِه مَن أبى وامتنع عن السجود له، لذلك نهى العلماء أن يهان الإنسان، وأن يُضرَب على وجهه مهما كان السبب حتى ولو كان لأجل التربية وتقويم السلوك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢. خلق الله سبحانه تعالى الإنسان في عدة أطوار؛ حيث أنشأه سبحانه بالتدرج طَورًا بعد طَور حتى صار في أحسنِ تقويمٍ، وهو جلَّ شأنه قادر على أن يقول له كن فيكون على هذا الحال، ولكنه سبحانه وتعالى اختار لنفسه سنة الإنشاء المتدرج، وهذه هي سنة المولى سبحانه وتعالى في خلقه، ولذلك وجب علينا أن نأخذ هذا التدرج بعين الاعتبار في تربيه الإنسان، وأن عملية التربية لا تأتي دفعة واحدة.

٣. كانت قبضة التراب التي خُلِق منها آدم من جميع الأرض، لذلك خرجت ذريَّته متفرعة متنوعة مختلفة، منها الأسود والأبيض، والطويل والقصير، والصالح والطالح، وعلى هذا فإن هناك فروقًا فردية بين البشر جماعاتٍ وأفرادًا، وعلى المربِّين أن يُنوِّعوا ويُغيِّروا من أساليبهم وطرقهم في التربية على حسب الحاجة.

٤. إعلان الطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى والتسليم والانقياد لأوامره ونواهيه سبحانه وتعالى وأن مَن وسوست له نفسه الاعتراضَ وعدم الإتباع، فهو ملعونٌ مطرود من رحمتِه جل وعلا.

٥. خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين:٤]، والميعاد في ذلك هو الإيمان والعمل الصالح.

٦. يتكوَّن الإنسان من جزأين أساسيين جزء ملموس وجزء محسوس، وهما الجسد والروح، ولا بد أن يتم إشباع الجزأين، فكل منهما يؤثِّر ويتأثر بالآخر.

ومن الفوائد التربوية من دراسة أطوار خلق الإنسان:

- توالي هذه الأطوار طَورًا بعد طَور، يدل على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى بيان عظمته جل جلاله، ويثبت بديع صنعه، كما أن نشأة الإنسان على هذه الشاكلة والأطوار وتتابعها وترتيبها بهذا النظام، يدل على أن تدرجه ونموه هو أمر مقصود مدبر، ويستحيل أن يكون محض صدفة بلا حكمة.

• الإيمان بالله سبحانه وتعالى والسير على نهج القرآن، والتسليم والانقياد الكامل لله جل جلاله.

• ذكر القرآن الكريم لهذه المراحل والأطوار بهذا التتابع، بعكس اهتمام القرآن الكريم بالإنسان بشكل عام، وبالطفل بشكل خاص.

المبحث الرابع
استنباط آيات الله في الكون والآفاق

الكون مليء بالعجائب والأسرار الباهرة والمعجزات التي تدل على قدرة الخالق جل جلاله في صنع هذا الكون المزدحم بهذا العدد الكبير الذي لا يحصى من المجرات والكواكب والنجوم التي لا يعلم عددها إلا الله، وفق نظام بالغ الدقة يدعو إلى التفكر والتدبر في عظمة الخالق وبديع صنعه ودلائل قدرته اللامتناهية، والتي تعود على الإنسان بالنفع في زيادة إيمانه وإخلاصه العبادة لله إذا أعمل عقله وتفكر في ملكوت لله فيزداد حبه لربه وخضوعه له وتسليمه الأمر لله والتوكل عليه في جميع الأمور.

المطلب الأول: هندسة البناء في الكون

المتأمل في بناء الكون يلاحظ هندسة هذا البناء الكوني في مجموعة الكواكب الشمسية التي تدور في دورات منتظمة حول الشمس في مجموعة من المسارات المحددة لها والتي قدرها الله تبارك وتعالى وكذلك الأقمار التي تدور حول الكواكب في مدارات متوافقة مع النظام العام لمجموعة الشمسية ومن مظاهر قدرة الله في الكون أيضا وضع الأجرام السماوية وموقعها بين بعضها البعض فهذا البناء الهندسي المحكم من النجوم والمجرات والغازات والدخان والغبار والتي تملأ الكون في اتساق مذهل يحافظ علي المسافات بين هذه الأجرام السماوية، يقول الله تعالي في كتابه العزيز: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤] وقوله أيضا: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

المطلب الثاني: التوازن في الكون

قدر الله سبحانه وتعالى كل شيء في هذا الكون، فلا مجال للخطأ أو الصدفة أو العشوائية، فكل شيء في هذا الكون يسير وفق نظام محكم ودقيق، ومن

الأمثلة على ذلك: التوازن العجيب بين مكونات الغلاف الجوي الذي يتكون من ستة أنواع مختلفة من الغازات، فالغلاف الجوي يتكون من النتروجين بنسبة ٧٨% ويمثل الأوكسجين ما نسبته ٢١% ومكونات وغازات أخرى بنسب ضئيلة مثل الأرقون، الأوزون وثاني أكسيد الكربون وغيرها، ومن دلائل بديع صنع الله عز وجل في هذا الكون أن جعل نسبة الأوكسجين بالقدر المناسب واللازم لتنفس جميع الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات وسائر المخلوقات التي تعيش في هذا الكون، فسبحان الله الذي قال في كتابه العزيز ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾. فلو ارتفعت نسبة الأوكسجين في الغلاف الجوي للأرض لأدى إلى اشتعال الغلاف الجوي ولهلكت جميع المخلوقات على سطح الأرض.

إذن هناك قوانين تنظم وتتحكم في الكون أبدعتها القدرة الإلهية، ومنها قانون التوازن والتي تتجلى فيها قدرة الله في خلق هذا الكون المذهل. ومن الأمثلة أيضا: أن جعل الله تبارك وتعالى كثافة الجليد والثلوج أقل من كثافة الماء مما يؤدى إلى طفوها على سطح الماء في المحيطات والبحار والأنهار وعدم نزولها إلى الأعماق، فلو لم تكن كثافة الثلوج بهذه النسبة المحددة لتجمدت المياه في البحار والمحيطات والأنهار ولم يبق شيء من الأسماك وغيرها من الكائنات البحرية على قيد الحياة.

المطلب الثالث
الآيات الكونية التي استشهدت بها سورة الروم على طلاقة القدرة الإلهية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٠ – ٢٧].

إن خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وخلق الأحياء، كل ذلك في زوجية تشهد للخالق وحده (سبحانه) بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ومنها اختلاف لغة الناس وتعدد ألوانهم، وإعطاء الإنسان القدرة على النوم بالليل أو في النهار، وعلى ابتغاء فضل الله، ومن آياته البرق والرعد، وإنزال المطر، وإحياء الأرض بعد موتها، وقيام السماوات والأرض بأمره، وخضوع كل من فيها أو عليها بأمره، وبعث الموتى بأمره، وأنه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض. ومن آياته الباهرة إرسال الرياح بفضل منه ورحمة، وتسيير السفن بأمره، وإثارة السحاب، وما يتبع ذلك من أحداث بأمره سبحانه، ومرور كل إنسان بمراحل متعددة. من الضعف، إلى القوة، ثم إلى الضعف من بعد القوة ثم الوفاة، ومن آياته أنه يحيي الموتى وأنه سبحانه على كل شيء قدير.

فالله جل جلاله يحيي الأرض بإنزال المطر، فيخرج النبات من الحبّ، وكذلك يخرج الحبّ من النبات، ومثل هذا الإخراج يخرجكم من قبوركم أحياءً بعد أن كنتم أمواتًا، وما ذلك على الله بعسير. فالحق جل جلاله بعد إيراده الأمثلة الواضحة ببعث الأجساد عقلا، أوضح أنه كذلك خروجنا من القبور.

هذه الأمثلة الحسّية وهذه المقارنات تبين للناس طريق الإيمان، وحقيقة ارتباط الحياة الدنيوية بالحياة الأخروية، وما أكثر هذه الأمثلة في القرآن الكريم.

المبحث الخامس
بعض الجوانب التي تناولتها سورة الروم
المطلب الأول: آيات قرآنية معجزة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [الروم:١-٣].

في رحاب التفسير:

يذكر المفسرون في كتبهم أن هذه الآيات نزلت حين تغلب ملك الفرس –ويدعى سابور– على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة، وأقاصي بلاد الروم، فاضطر ملك الروم هرقل للهرب حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحاصره فيها لمدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل.كانت دولتا فارس والروم من أقوى دول الأرض في ذلك الوقت، وكان بينهما من الاقتتال والحروب ما يكون بين الدول المتساوية المتكافئة في

القوة،أما من حيث الديانة فهما مختلفين، فكان الفرس مشركين يعبدون النار، وكان الروم أصحاب كتاب، ينتسبون إلى التوارة والإنجيل وهم بذلك أقرب إلى المسلمين من الفرس، فكان المؤمنون يحبون انتصار الروم وغلبتهم على الفرس، وكان المشركون –بسبب توافقهم مع الفرس في الشرك– يحبون انتصار الفرس على الروم، فانتصر الفرس على الروم، وغلبوهم وهزموهم شر هزيمة، ففرح بهذا الانتصار المشركون في مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله أن الروم ستنتصر على الفرس.

معجزة تاريخية:

كانت هذه الأيام في عام ٦٢٠ للميلاد بعد سبع سنوات تقريبًا من هزيمة إمبراطورية الروم على يد الفرس الوثنيين، وقد أشارت الآية إلى أن الروم البيزنطيين سوف يحققون النصر قريبًا في معركة أخرى، فقد عانى الروم البيزنطيون وقتها خسائر جسيمة مما جعل أمر إمبراطوريتهم في خطر، ولذلك كان من الصعب انتصارها مرة أخرى، ولم تكن دولة الفرس فقط هي العدو الوحيد، بل كان معهم أيضًا الآفار، والسلاف، واللومبارديون، وحينما وصل الآفار إلى مشارف أسوار القسطنطينية، أمر إمبراطور البيزنطيين (هرقل) وقتها أن يصهروا الذهب والفضة الموجودة في الكنائس، وتُحول إلى أموال لإمداد الجيش وتغطية تكاليف الحرب، فلم يكن ذلك كافيًا، فأذابوا الأصنام و التماثيل البرونزية وحولوها إلى أموال، فأغضب ذلك الكثير من المؤيدين المناصرين لهرقل، ووصلت الإمبراطورية إلى حافة الإنهيار، فقد غزت إمبراطوية فارس الوثنيون كلًا من وادي الراخوين، وكليليكيا وفلسطين وسوريا، ومصر التي كانت قبل ذلك ترزح تحت الحكم البيزنطي، وبالإجمال، فإن الجميع كانوا يتوقعون أن تدمر الإمبراطورية البيزنطية، فنزلت الآيات الأولى من سورة الروم وهم على هذه الحالة، لتُعلن أن الإمبراطورية البيزنطية سوف تنتصر في غضون بضع سنين من هزيمتها، ولكن هذا النصر بدا مستحيلًا بالنسبة للمشركين العرب إلى درجة دفعت بهم إلى الاستهزاء والسخرية من القرآن الكريم، وظنوا أن هذا النصر الذي يدعيه القرآن لم ولن يتحقق، وبعد ما يقارب السبع سنوات من نزول الآيات من سورة الروم، وفي الشهر الثاني عشر من عام (٦٢٧) ميلادية وقعت معركة حاسمة بين الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية، وهزم الروم البيزنطيون الفرس هزيمة نكراء لم تكن متوقعة، وبعد عدة أشهر من المعركة تمت المعاهدة بين الروم و الفرس والتي أجبرت الأخيرة على إعادة الأراضي التي استولوا عليها.

(فِي أَدْنَى الْأَرْضِ):

هنا وجه إعجازي من نوع آخر في هذه الآيات، وهو أنها تثبت حقيقة جغرافية لم تكن في ذلك الوقت معروفة عند أحد، فالآية الثانية من سورة الروم تُخبرنا أن الروم كانوا قد خسروا الحرب في أدنى الأرض، والمثير للاهتمام أن أهم مراحل الحرب التي كانت بين الفرس والروم وأسفرت عن هزيمة الروم وخسارتهم مع الفرس، وقعت في أكثر منطقة في العالم انخفاضًا وذلك في حوض البحر الميت، الذي يقع في منطقة تقاطع بين سوريا وفلسطين والأردن ويبلغ مستوى سطح الأرض هناك ٣٩٥ مترًا تحت سطح البحر، مما يجعل هذه المنطقة هي أدنى الأرض فعلًا، ومن المعلوم أن ارتفاع مستوى حوض البحر الميت لم يكن ليُقاس آنذاك، في ظل غياب تقنيات القياس المتطورة، فكان من المستحيل لأي شخص وقتها معرفة ذلك. وهذا من إعجاز القرآن الكريم .

أدنى الأرض في العلم الحديث:

لقد ثبت علميًا بقياساتٍ متعددة أن أكثر منطقة من أجزاء الأرض انخفاضًا هي غور البحر الميت، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضًا، فإن مستوى منسوب سطح البحر الميت يصل إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعمق جزء منه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو يعتبر بحيرة داخلية بمعنى أن قاعها في الحقيقة جزءًا من اليابسة. وغور البحر الميت هو جزء من خسف أرضي عظيم يمتد من منطقة البحيرات في شرقي إفريقيا إلى بحيرة طبريا، ثم حدود تركيا الجنوبية، مرورًا بالبحر الأحمر، وخليج العقبة، ويرتبط بالخسف العميق في قاع كل من المحيط الهندي، وبحر العرب وخليج عدن، ويبلغ طول أغوار وادي عربة –البحر الميت– الأردن حوالي الستمائة كيلومتر، ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال، ويتراوح عرضها بين العشرة إلى العشرين كيلومترًا. ويعد منسوب سطح الأرض فيها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضًا حيث يصل منسوب سطح الماء في البحر الميت إلى٤٠٢ مترًا تحت المستوى المتوسط لمنسوب المياه في البحرين المجاورين: البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، وهو أخفض منسوب أرضي على سطح اليابسة كما يتضح من الأرقام التالية: منسوب سطح الأرض في وادي عربة=٣٥٠ .٤٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب أعمق نقاط قاع

البحر الميت يبلغ=٧٩٤ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب سطح الماء في البحر الميت يبلغ=٤٠٢ تحت مستوى سطح البحر. ومستوى سطح الأرض في غور الأردن=٢١٢ .٤٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب سطح الماء في بحيرة طبريا=٢٠٩ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب قاع بحيرة طبريا =٢٥٢ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب سطح الأرض في قاع منخفض القطارة في شمال صحراء مصر الغربية =١٣٣ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب سطح الأرض في قاع وادي الموت/ كاليفورنيا =٨٦ متر تحت مستوى سطح البحر. ومنسوب سطح الأرض في قاع منخفض الفيوم/ مصر=٤٥ متر تحت مستوى سطح البحر. ويتراوح عمق الماء في الحوض الجنوبي من البحر الميت بين الستة والعشرة أمتار، وهو بذلك في طريقه إلى الجفاف، ويعتقد أنه كان جافًا إلى عهد ليس ببعيد من تاريخه، وكان عامرًا بالسكان، وأن منطقة الأغوار كلها من وادي عربة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال كانت كذلك عامرة بالسكان منذ القدم، حيث عرف البحر الميت في المخطوطات التاريخية القديمة، ووصف بأسماءكثيرةمثل: بحر سدوم، بحيرة زغر، بحيرة لوط،البحر النتن، بحر الأسفلت،وبحر عربة، والبحر الميت، وسبب ذلك أن المنطقة اشتهرت بتربتها الخصبة، ووفرة مياهها فسكنتها القبائل العربية منذ القدم، وتهافتت إليها من شتى البقاع، من العراق ومن الجزيرة العربية وبلاد الشام وكذلك قوم لوط عليه السلام الذين سكنوا خمس مدن في أرض الحوض جنوبًا من البحر الميت هي: سدوم، وأدمة، وعمورة، وزغر، وصوبييم، وقد ازدهرت الحياة فيها حتى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد، ثم تدمرت بالكامل وذلك بسبب عقاب إلهي نزل بها، وجاء في القرآن الكريم خبر عقابها، بقول المولى تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هود: ٨٢] والأرض في حوض البحر الميت –بصفة عامة– وفي الجزء الجنوبي منه –بصفة خاصة– والتي تعرف باسم الأرض المقلوبة، تتميز بالحرارة الشديدة، وبتفجر العيون المائية،والأبخرة الكبريتية الحارة فيها، وبتناثر كتل الأسفلت التي كانت تطفو على سطح مياه البحر الميت إلى عهد ليس ببعيد. وأما قرى قوم لوط التي كانت موجودة في الحوض الجنوبي من البحر الميت، والتي دمرت بالكامل بأمر إلهي، ليس لها علاقة بالتحركات الأرضية التي شكلت تلك الأغوار قبل ما يقارب٢٥ مليون سنة مضت، ولكن بعد دمارها بالعقاب الإلهي دخلت المنطقة في دورة أمطار غزيرة برحمة

من الله تعالى غسلت ذنوب الآثمين من قوم لوط بمياهها، وغمرت منطقة قراهم لتحولها إلى الحوض الجنوبي من البحر الميت، والذي يتجه في الآونة الأخيرة إلى الجفاف مرة أخرى ليصير أرضًا يابسة. وخلاصة القول أن منطقة أغوار الأردن والبحر الميت تحتوي على أخفض أجزاء الأرض على الإطلاق، والمنطقة كانت محتلة من قبل الروم البيزنطيين في زمن بعثة النبي ﷺ، وكانت الإمبراطورية الرومانية يحدها من جهة الشرق الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان النزاع بين هاتين الإمبراطوريتين العظيمتين على أشدهفي هذا الزمن، ولابد أن كثيرًا من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار، وهي أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة الفاصلة التي تغلَّب فيها الفرس على الروم بـ ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾. وصفٌ معجزٌ للغاية لأن أحدًا من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن النبوة، ولا حتى لقرون طويلة من بعده، ورودها بهذا الوضوح في مطلع سورة الروم يضيف بعدًا آخر إلى الإعجاز التنبؤي في الآيات الأربع التي استهلت بها تلك السورة العظيمة، ألا وهو الإعجاز العلمي. فبالإضافة إلى ما جاء بتلك الآيات من إعجاز تنبؤي شمل الإخبار بأمر غيبي، وحدد لوقوعه بضع سنين، فوقع كما وصفته تلك الآيات وكما حددت له زمنه، فهذا من دلائل النبوة، فإن وصف أرض المعركة بهذا التعبير القرآني، يضيف إعجازًا علميًا جديدًا، يؤكد بلا شك أن القرآن الكريم هو كلام الله، وأن النبي محمد ﷺ الذي تلقاه كان متصلًا بالوحي، ومعلمًا من قِبَلِ خالق السماوات والأرض.(٤٩)

وكما كانت هذه الآيات الكريمة من علامات النبوة في زمن الوحي لإخبارها بالغيب فيتحقق، فهي لا تزال من دلائل النبوة في زماننا وذلك بالتأكيد على أن المعركة الفاصلة قد وقعت في أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، وهي أغوار البحر الميت وما حولها من أغوار، ويأتي العلم الحديث ليؤكد هذه الحقيقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

المطلب الثاني: توصيف حال المؤمنين والمشركين وعاقبتهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الروم:٤٤- ٤٥].

الكفر هو: الخروج عن الإيمان والانسلاخ منه، وهذا هو المعنى الحقيقي لمعنى الكفر. والكفر في اللغة: معناه الستر والتغطية فالعرب تسمي الليل كافرًا لأنه

يستر الأشياء ويخفيها وتسمي الفلّاح كافرًا لأنه يغطي الحب في التراب حين زرعه(٥٠)، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[الحديد: ٢٠].

والمقصود بالكفار هنا الزُّراع، والسبب في تسمية غير المؤمن كافرًا أنه يرى الأدلة الدالة على توحيد الله سبحانه وتعالى والإيمان به، ثم يصر على باطله وكفره مستكبرًا. حينما يتأمل القارئ كلام الله جل في علاه عن زعيم الكافرين في الأرض (فرعون) الذي أعرض عن الإيمان بالله نكرانًا وجحودًا لا جهلًا، قال تعالى على لسان موسى وهو يخاطب فرعون: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٢]. أي لقد علمت يا فرعون أن الله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض هو الذي أنزل ما شاهدته من الآيات كالعصا واليد لتبصر أنت وقومك، وتعلموا أنني رسول من الله عز وجل وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن قوم فرعون أنهم علموا الحق ولكنهم كذبوه وزاغوا عنه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. أي تيقنت أنفسهم أن الآيات التي جاء بها موسى هي آيات الله حقًا وصدقًا، ولكنهم جحدوا أي أنكروا وكابروا وردوا الحق عن علم وبصيرة، وقد فعل بعض الصحابة شيئًا من هذه المناقضات للإيمان عن جهل بحكمها فأنكر عليهم الرسول إنكارًا شديدًا ولم يخرجهم من الإيمان. فعن المقداد بن الأسود ﷺ أنه قال: قلت يا رسول الله إن لقيت رجلًا من الكفار فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله أفأقتله يا رسول الله؟ بعد أن قالها، قال رسول الله ﷺ: لا تقتله، قال: فقلت يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي. ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله، قال رسول الله ﷺ:"لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قالها"(٥١)، والمعنى أنك بذلك تقتل مؤمنًا وتصبح كافرًا، وفي حديث أسامة بن زيد ﷺ، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ، فقال: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (٥٢).

والسبب في ذلك أن أسامة كان جاهلًا بهذا الحكم والقاعدة الشرعية المعروفة

هي أن المؤاخذة لا تكون إلا بعد العلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]. أي: أن المسلم لا يعتبر ضالًا إلا إذا عرف الحق ثم زاغ منه وكابر، وهذه الآية نزلت تعقيبًا على عتاب الله لرسوله والمؤمنين الذين استغفروا الله لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٥].

فقرر الله سبحانه وتعالى في ختام هذا الحكم هذه القاعدة الشرعية العظيمة وهي أن المؤاخذة دائمًا بعد العلم. وهذا من فضل الله ورحمته فله الحمد ويشبه مسألة أسامة ما جاء على بعض ألسنة المسلمين مما يعتبر شركًا، ومعلوم أن الشرك مناقض للإيمان كما قال أحدهم للرسول ﷺ: "ما شاء الله وشئت فقال له النبي ﷺ: "أجعلتني للهِ عدلًا بل ما شاء اللهُ وحدَهُ"(٥٣). فرده إلى الحكم وعلمه إياه. وأيضًا ما قاله بعض مسلمة الفتح عندما خرج بهم الرسول إلى هوازن ومروا على شجرة للمشركين كانوا ينوطون (يعلقون) بها سيوفهم ليلة المعركة زاعمين أن من فعل ذلك لاقى النصر في معركته. قالوا يا رسول الله "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفس محمد بيده، كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]"(٥٤). وذلك أن النصر من عند الله، فكيف يرتجى النصر بتعليق السلاح في شجرة تهب البركة والنصر! إنه الشرك والشاهد أن الرسول لم يقل لهم كفرتم وأبطلتم إسلامكم السابق ولا بد لكم من إسلام جديد، وإنما بين لهم أن هذا العمل شرك وذلك ليحذروا هذا مستقبلًا.

وهذه الأدلة وغيرها كثير نستفيد منها أنه يجب أن نفرق دائمًا بين الكفر والكافر، فالكفر أعمال وأقوال ومناقضات للإيمان قد يصدر بعضها جهلًا من المسلمين، فلا يجوز والحالة هذه والحكم عليهم بالكفر، بل يجب تعليمهم أن هذا العمل كفر أو شرك أو مناقض للإيمان، وذلك ليحذروه مستقبلًا، فمن آمن وأذعن فقد تمسك بإيمانه، ومن كابر فقد انتقل من الإيمان إلى الكفر والعياذ بالله، وأما الكافر

فهو الذي ظهرت له أدلة الإيمان فجحدها وأنكرها، وعلم الحق فزاغ عنه ورده والعياذ بالله.

المبحث السادس
حدود ومنهج وإجراءات البحث

١. حدود البحث:

الحدود الموضوعية للبحث:

يتناول موضوع سورة الروم من بدايتها لنهايتها.

الحدود العلمية:

تتناول الآيات والإعجاز العلمي في النفس البشرية والآفاق وبيان المعاني والموضوعات والمفردات وأسباب النزول في سورة الروم، ودراستها دراسة موضوعية.

٢ . منهج البحث: وصفي تحليلي استقرائي:

تعريف المنهج الوصفي، وهو: منهج يدور حول تحديد ووصف لموقف راهن وتوضيح جوانبه، والمنهج الوصفي مبني على وصف الواقع وما هو كائن ومن ثم تفسيره، إذ يرى العبيدي[٥٥] أن المنهج الوصفي: هو الذي لا يقف عند مرحلة جمع البيانات وتبويبها، وإنما يتعدّها إلى الفهم والتفسير والمقارنة والقياس، ومن ثم التحليل الدقيق الذي يقود الباحث إلى استخلاص العلاقات، واستخراج الاستنتاجات المتضمنة لمشكلة البحث. كما أن المنهج الوصفي يعني بتفسير وتحليل البيانات التي يتم التوصل إليها، كما أشار إلى ذلك (جابر) بأن المنهج الوصفي: "لا يقتصر على جمع البيانات وتقويمها، وإنما يمضي إلى ما هو أبعد من ذلك؛ لأنه يتضمن قدرا من التفسير لهذه البيانات"[٥٦]. وأما المنهج الاستقرائي التحليلي فهو: ذلك النمط من تفسير القرآن الكريم الذي يتناول فيه المفسر السور والآيات القرآنية بطريقة تفصيلية[٥٧].

٣ . إجراءات البحث:

كانت خطوات الباحث وإجراءاته في هذا الباحث متوزعة في المقدمة التي شملت على مكانة القرآن الكريم وأهميته في الأمة الإسلامية، وضرورة تطبيق معانيه وأحكامه. وتوضيح حال المسلمين وتوصيف واقعهم الأليم من شتات وضياع وتفرق وتنازع وتحزب وتفكك اجتماعي وقطع للأرحام.

فبعد توضيح الإشكالية المتعلقة بالبحث، جاءت إجراءات البحث لتعالج هذه الإشكاليات، بدأ الباحث التمهيد والإشارة إلى فضل القرآن الكريم وأهمية اتباعه، ثم انتقل من العام إلى الخاص وتحدث عن سورة الروم التي هي نموذجًا للبحث فذكر

الدراسات السابقة المتعلقة بسورة الروم ثم تسمية السورة بهذا الاسم وسبب نزولها وعدد آياتها، ثم مناسبة السورة لما قبلها ومحور السورة والمعنى العام لها وتقسيم السورة إلى مقاطع ومواضيع، ودراسة هذه المقاطع دراسة موضوعية، ومن ثم استقراء واستنباط آيات الله في الأنفس وتشمل إعجاز الله في خلق الإنسان ومراحل نموه، ثم بيان معاني الآيات المتعلقة بخلق الإنسان في سورة الروم.

ثم استنباط وتحليل آيات الله في الآفاق، وتشمل بيان معاني المفردات والمعنى العام للآيات الكونية ثم الإعجاز العلمي في سورة الروم وذكر بعض آيات الله الكونية الدالة على القدرة الإلهية وبعض الجوانب التي تناولتها سورة الروم. حتى وصل الباحث إلى النتائج المرجوة من هذا البحث.

هوامش البحث:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، ج١٤ص٥٦.
(٢) مصطفى، الزيات، عبد القادر، النجار، المعجم الوسيط، د.ط، ج١ ص٣٥.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، ج١٤ص٥٦.
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، ج١٤ص٦١.
(٥) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م (٢٦٦/١).
(٦) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض ط ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م (١٠/٤).
(٧) محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م (٨/١٣).
(٨) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ ص٣١٢.
(٩) حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، ط١، ج٤، ص٢٢٣٨.
(١٠) ابن منظور، لسان العرب، ط٣، ج١٠ ص٥.
(١١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، ج١، ص١٠٣.
(١٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط١، ج١ ص٧٩.
(١٣) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، ج١٣، ص٧.
(١٤) النسائي، السنن الكبرى، كتاب الصلاة، القراءة في الصبح بالروم، ط١، ج٢ ص١٥٦،ح ١٠١٩. وفي مسند أحمد، مسند المكيين، حديث أبي روح الكلاعي ج٢٥ ص٢١١ ح (١٥٨٧٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ ج١ ص٥٥٠.

(١٥) النسائي، السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة الروم، ط١، ج٦ ص٤٢٦،ح ١١٣٨٩. وفي مسند أحمد، مسند بني هاشم، مسند ابن عباس، ج٤ ص٢٩٦ ح (٢٤٩٥). قال البوصيري: له شاهد. أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (٢٥٢/٦).

(١٦) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، ج١١ ص١٨.

(١٧) المراغي، تفسير المراغي، ط١، ج٢١، ص٢٦.

(١٨) الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ج٣ ص٤٠٤.

(١٩) البغوي، معالم التنزيل ج٣ ص٤٠٤.

(٢٠) الحجازي، التفسير الواضح، ط١٠، ج٣ص١٤.

([21]) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (٣٠٩/٩).

([22]) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب أحاديث عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (٢٠/١٢) ح (١٢٣٤٨)، وفي الأوسط (٤٥/٨) ح (٧٩١٠).

([23]) السيوطي، لباب النقول في أسباب، د.ط، ج١ص٥٣.

(٢٤) المراغي، تفسير المراغي، ط١، ج٢١ ص٢٦.

(٢٥) البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ط، ج١٥ص٢.

(٢٦) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م ج٤ ص٤٢٧.

(٢٧) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م ج٢ ص٤٣٨.

(٢٨) جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة ط١، ص٩..

(٢٩) السجستاني، السنن، ط١، رقم الحديث (٤٦٩٣)، والترمذي، الجامع الصحيح، د.ط، رقم الحديث (٢٩٥٥).

(٣٠) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط ١، ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م ج١٤ ص٢٠.

(٣١) المرجع السابق ج١٤ ص٢٠.

(٣٢) الشنقيطي، أضواء البيان،د.ط، ج٢، ص٢٧٤، والشوكاني، فتح القدير، ط١، ج٣ ص١٥٦.

(٣٣) تفسير المراغي ج١٤ ص٢٠.

(٣٤) مسند أبي يعلى، مسند أبي هريرة ج١١ ص٤٥٣ ح ٦٥٨٠، قال الهيثمي: فيه إسماعيل بن رافع قال البخاري: ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد، ج٨ ص٣٦٣ ح (١٣٧٤٧).

(٣٥) قطب، في ظلال القرآن، ط١٧، ج٥ ص٣٠٢٧.

(٣٦) محمد بن عبد الله الأندلسي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ج٥ ص٣١١.

(٣٧) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمى في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ط١، ج٨ ص٤٤ رقم الحديث (٦٨٩٣).
(٣٨) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ج٣، ص١٧٨.
(٣٩) قطب، في ظلال القرآن، ط١٧، ج٥، ص١٨٢.
(٤٠) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، ج٩ ص٣٤.
(٤١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، د.ط، ج١٥، ص٤٧٤
(٤٢) السجستاني، السنن، ط١، رقم الحديث (٤٣٩٨)،والنسائي،السنن، ط١، رقم الحديث (٣٤٣٢).
(٤٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، ج٤، ص٩٠.
(٤٤) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط٤، ج٣ ص١١٦.
(٤٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٥ ص٤٦٧.
(٤٦) البغوي، تفسير البغوي، ج١٧ ص٤٠٦.
(٤٧) الطبراني، المعجم الكبير ج٢٠ ص١٩٢ رقم الحديث (٤٢٧).
(٤٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط١، ج١١ ص٣١.
(٤٩) من موقع الدكتور زغلول النجار بتصرف.
(٥٠) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ج٥ ص١٩١.
(٥١) البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا ج٥ ص٨٥ رقم الحديث (٤٠١٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ج١ ص٦٦ رقم الحديث (٢٨٤).
(٥٢) البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينةج ٥ ص١٤٤ رقم الحديث (٤٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ج١ ص٦٧ رقم الحديث (٢٨٧).
(٥٣) مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ ط١، ج٣ ص٣٣٩ رقم الحديث (١٨٣٩) (٢٥٦١).
(٥٤) مسند الإمام أحمد، ط١، رقم الحديث (٢١٨٩٧).
([55]) العبيدي، سعيد، سلطان، أساليب البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، د.ط، ص٩١٩.
([56]) جابر، كاظم، خيري، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، د.ط، ص١٣٤.
([57]) ناصر يونس حسن صبره، أسلوب التفسير التحليلي للقرآن الكريم، مجلة الحجاز العالمية، جامعة أم القرى، العدد ١٥، رجب ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م ص١٠.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، د.ط (دار الدعوة، د.ت).
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تفسير القرآن العظيم تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣ (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١هـ).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير

العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، د.ط، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر ١٤١٤هـ).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، (دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه)، ط١، (القاهرة: المكتبة السلفية ١٤٠٠هـ).
- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، ط٤ (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ط (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).
- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ط (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، المحقق أحمد بن محمد شاكر، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية د.ت).
- جابر، عبدالحميد، وكاظم، أحمد خيري، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، د.ط، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٢م).
- جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط١، (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠ م).
- الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط١٠، (بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٣هـ).
- حوّى، سعيد حوّى، الأساس في التفسير، ط٦، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٤ هـ).
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، د.ط، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨ هـ).
- الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف من حقائق غوامض التنزيل، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، المحقق/ عزت عبيد

الدعاس، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٨٩هـ).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، د.ط، (بيروت: دار الفكر د.ت).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تناسق الدرر في تناسب السور.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية بيروت، د.ت).
- السيوطى، والمحلى، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي، تفسير الجلالين، ط١، (القاهرة: دار الحديث، د.ت).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، ط١، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، د.ط. (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).
- العبيدي، غانم سعيد، حنان عيسى سلطان، أساليب البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، د.ط، (الرياض: دار العلوم للطباعة، ١٤٠٤هـ).
- عزت، دروزة محمد، التفسير الحديث، د.ط، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣هـ).
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م).
- قطب، سيد قطب إبراهيم، فى ظلال القرآن، ط١٧، (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ).
- المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، ط١، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
- موسى، رشاد علي عبد العزيز،علم أطوار الإنسان،ط٢ (دار الفكر العربي، ٢٠٠٣).
- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، المحقق :عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، د.ت).
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، ط١، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ).
- الهيثمي، علي بن أبي بكر،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،د.ط،(بيروت: مؤسسة المعارف ١٤٠٦هـ).